



كلية الحقوق
قسم القانون الدولي العام

أثر الذكاء الاصطناعي في تغير هيكل النظام الدولي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الله محمد عبد الله الهواري

أستاذ ورئيس قسم القانون الدولي العام
ووكيل الكلية لشئون البيئة والمجتمع السابق
كلية الحقوق – جامعة المنصورة

إعداد الباحث

أحمد يوسف عبد الله علي كوخري

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

مقدمة

ساهم الذكاء الاصطناعي في التأثير على النظام الدولي من خلال تحول العلاقات الدولية لنمط من اللامركزية والفوضى وغياب آليات الضبط، وهو ما يحفز لممارسة الهيمنة والعنوان وفق حالة الطبيعة. واتجهت السياسة الدولية عبر الذكاء الاصطناعي إلى أن تشهد مظاهر الانفجار أكثر مما تتجه نحو الانسجام وبناء المجتمع العالمي المثالي.

وتأسيساً على ذلك، سنعرض في هذا المبحث للذكاء الاصطناعي والتحول من النظام الدولي إلى المجتمع العالمي (مطلب أول)، ثم مابين الذكاء الاصطناعي وتحول القوة وتوزيعها والتأثير في بنية النظام الدولي (مطلب ثانٍ)، بزوغ دور الهيمنة السيبرانية cyber hegemony في العلاقات الدولية (مطلب ثالث)، وأخيراً الذكاء الاصطناعي وحالة التغير في النظم الإقليمية في النظام الدولي (مطلب رابع)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: الذكاء الاصطناعي والتحول من النظام الدولي إلى المجتمع العالمي

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي والتأثير في بنية وعلاقات القوى داخل النظام الدولي

المطلب الثالث: دور الهيمنة السيبرانية في العلاقات الدولية

المطلب الرابع: الذكاء الاصطناعي وحالة التغير في النظم الإقليمية في النظام الدولي.

المطلب الأول

الذكاء الاصطناعي والتحول من النظام الدولي إلى المجتمع العالمي

أدى التغير الكمي في العالم من خلال ثورة الاتصال والمعلومات والتي شملت انتشار استخدام الإنترنت والمحمول والقوات الفضائية والأقمار الصناعية إلى إيجاد بيئة عالمية جديدة أصبح العالم أكثر اتصالاً وتواصلاً بين أجزائه المختلفة، في ظل بيئة ومجال إلكتروني جديد في العلاقات الدولية وله دور في قوة الأطراف وأهمية القضايا وحجم التفاعلات، وزادت تعقيد العلاقة التفاعلية بين قطاع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وباقي القطاعات الأخرى في المجتمع، وأصبح هذا القطاع من الأساسي في حركة النمو الاقتصادي وإلى محور أساسي في مجتمع المعلومات والذي تميز عن غيره من المجتمعات كالمجتمع الزراعي والصناعي، وأصبح تكنولوجيا الاتصال والمعلومات سمة أساسية لمجتمعات ما بعد

الصناعة، فمنذ أوائل السبعينات شكل هذا القطاع المرتبط بإنتاج المعلومات وإدارتها وبثها وتوزيعها في أشكالها المتعددة لتمثل أكثر القطاعات حيوية في الاقتصاد العالمي، واتسع نشاط المعلوماتية على المستوى الدولي كجزء من عمليتين مرتبطتين معاً بشكل عالي وهما عمليتا التخطي التجاري للحدود القومية وعملية التخطي المعلوماتي للحدود القومية^(١).

وشهد المجتمع الدولي عدد من التحولات أهمها عملية التحول من المجتمع الصناعي إلى مجتمع ما بعد الصناعة، والتحول من الاقتصاد الوطني المنغلق إلى الاقتصاد العالمي، والتحول من اهتمامات المدى القصير إلى المدى البعيد والتخطيط الاستراتيجي، والتحول من النظم المركزية إلى النظم اللامركزية والتحول من التبعية للمؤسسات والمنظمات إلى وضع يسود فيه الفرد. والتحول من نظم الديمقراطية النيابية إلى المشاركة.

والتحول من التنظيمات الهرمية القائمة على السلطة المركزية وفوارق المستويات إلى التنظيمات التداخلية القائمة على التفاعل والتكامل بين عناصر التنظيم، والتحول من الشمال إلى الجنوب، والتحول من التفكير في البدائل المتعارضة إلى التفكير في البدائل المتكاملة والمتداخلة^(٢).

وأدى إلى توحيد متزايد للعالم بوصفه مكاناً للاتصال والتبادل بين البشر والثقافات بصورة متزايدة في حياتهم اليومية بثقافات أخرى ويكشفون قيماً متغيرة والتعرف على أوجه متعددة^(٣).

وساهمت تلك التطورات إلى أن جعلت من العالم قرية كونية صغيرة، وأصبح أي تأثير في أي جزء يشعر به الأجزاء الأخرى سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهو ما وصفه "كارل بولاني" بالـ "التحول الكبير". والتحول في "مجتمع المعلومات العالمي"، وأشار كاستلز إلى تسمية مجتمع المعلومات العالمي إلى "المجتمع الشبكي"، وقدم "الفين وهيدي توفلر" فكرة الموجات الثلاث للحضارة الإنسانية في كتب عده من أهمها "خلق حضارة جديدة سياسة الموجه الثالثة"^(٤).

(١) د. محمود علم الدين، "ثورة المعلومات ووسائل الاتصال التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال: دراسة وصفية"، مجلة السياسية الدولية، العدد ١٢٣، ص ١٠٥.

(٢) د. علي السلمي، "الإدارة الجديدة في ضوء المتغيرات البيئية والتكنولوجية"، القاهرة، كتاب الأهرام الاقتصادي، عدد ٣٥ يناير ١٩٩٥، ص ١٥.

(٣) د. خير الدين عبد اللطيف، "بعض الأوجه السياسية والقانونية لثورة الاتصال الحديثة"، مجلة السياسية الدولية، إبريل ١٩٩٤، ص ٦٣.

(4) Alvin Toffler, "The Third Wave", Bantam Books (USA), United States, 1980, http://en.wikipedia.org/wiki/The_Third_Wave_%28Toffler%29

ألفين توفلر، "تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة"، تعريب ومراجعة "فتحي عثمان"، نبيل عثمان مصراته الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٢، ص ٤٦٧-٤٨٣.

وأدى الذكاء الاصطناعي إلى حدوث تطورات هيكلية وكيفية في بنية النظام الدولي، وساهم في أحداث تغيرات في شكل التحول من النظام الذي تسيطر عليه الدول إلى مجتمع عالمي، وأصبح للقضاء الإلكتروني دور في التأثير على سيادة الدول بل وأهمية وظيفة الحدود بعد إحداث تحولات جذرية في العلاقات الدولية تميزت بالسرعة والعالمية ساهمت في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق العالمي.

وكان محور النظام الدولي الأساسي هو الدولة، وأدى الذكاء الاصطناعي إلى تراجع دورها وفي التأثير في هيكل النظام الدولي عن طريق توزيع القدرات بشكل يجعل لها تراتبية تعكس التفاوت بين الدول وحجم قوتها مقارنة بغيرها، وإن فشل الدول في الحفاظ على مركزها في مجال التنافس والقدرة التكنولوجية يؤدي إلى تراجعها على هيكل النظام الدولي من خلال التأثير في البنية أو في العمليات التفاعلية سواء أكانت صراعية أو تعاونية أو تكاملية أو تفككية.

وبما أدى إلى وجود أسس ووقائع جديدة داخلية وخارجية وعالمية وأصبح لذلك تأثيرات مستوى الهيكل والعملية والنمط وفي شكل العلاقات الدولية الشاملة التي تضم مختلف الفاعلين سواء كانت علاقات رسمية أم غير رسمية.

وشملت اتجاهات التأثير لظاهرة الذكاء الاصطناعي على النظام الدولي من خلال دوره في:

أ- في التغير على مستوى الفاعل الدولي، وبالتأثير في تغيير النظام الدولي في العمق، "بارترن بادي" وإعادة النظر في دور الدولة التي لم تعد الفاعل المركز في العلاقات الدولية وصاحب هذا الاتجاه ثلاث أطروحات: أطروحة نهاية التاريخ نقيضها تسارع التاريخ، وأطروحة صدام الحضارات نقيضها حوار الحضارات وأطروحة القوة ونقيضها النظرية الواقعية الجديدة والتي أوضحت بدورها تناقض نظرية الليبرالية الجديدة^(٥).

ويشمل التغير الذي اعترى المجتمع الدولي على مستوى "بنية والنمط والعملية"، فالبنية تتعلق بحالة العناصر الموجودة في تراتبية معينة بفعل نمط من العلاقات تحافظ على العناصر في لحظتها

(٥) د. رباحي أمينة، "تأثير التحولات الاستراتيجية في النظام الدولي على التنظير في العلاقات الدولية"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ٦، جامعه حسيبة بن بوعلي بالشلح، الجزائر، ٢٠١١ ص ٢٧-٣١
http://www.univchlef.dz/ratsh/RATSH_AR/Article_Revue_Academique_N_06_2011/article_04.pdf

وتسعى للاستمرار في المستقبل عبر مجموعة عمليات وبالشكل الذي يمكن هذه العناصر من التعامل أو التكيف مع المتغيرات التي تطرأ نتيجة البيئة الإلكترونية الجديدة.

وقد أدت صعوبة دراسة التغير إلى الاهتمام بدراسة التغير من خلال العمليات التي يرتبط بها والسياقات التي يتم من خلالها، وقد يشمل المستويات التي يشتمل عليها: الدول حيث يتم دراسة تأثير الذكاء الاصطناعي على صعود وهبوط الدول وأثر في طبيعة العلاقة بين القوى المتوسطة والصغرى والكبرى في النظام الدولي وفي تنامي دور القوة والثورة في تحديد مكانة وقوة الدولة^(٦).

وأوجد الذكاء الاصطناعي جيلاً جديداً من المؤسسات الدولية والأخرى غير الدولية ذات الطابع المدني العالمي بشأن البحث عن تنظيم سياسات التعامل مع الذكاء الاصطناعي والبحث في وضع حدود فاصلة بين حقوق وواجبات الاستخدام.

وبرزت هذه المؤسسات بقوة في العلاقات الدولية والتي كانت إما مستحدثة أو تم تطوير أداء ووظيفة مؤسسات قائمة كحالة التطور في وظيفة الاتحاد الدولي للاتصالات، وتأسيس منظمة "الايكان" لإدارة أسماء ونطاقات الإنترنت وغيرها من المنظمات والروابط المعنية في البحث والتطوير للهواتف المحمولة والإنترنت والأقمار الصناعية والاتصالات وغيرها، واكتسبت تلك المنظمات حيويتها من خلال انضمام فاعلين من غير الدول إليها، وهو ما جعل الدولة طرفاً مشاركاً وليس طرفاً رئيسياً في إدارة المجال الإلكتروني عبر جيل جديد من المؤسسات ذات الطابع العالمي.

وبرز بذلك المجتمع المعلومات العالمي والذي يتشارك به العديد من الفواعل كالمؤسسات الدولية المعنية وحجمها وطبيعة تأثيرها في العالم وكذلك دور الشركات متعددة الجنسيات كفواعل من غير الدول إلى جانب تصاعد دور الجماعات والحركات والتغير في حجمها وعلاقتها بالدول والمؤسسات وبنظام الدول. وأثر الذكاء الاصطناعي على التغيير الاجتماعي الدولي من خلال دوره في دعم الحركات الاحتجاجية ذات الطابع الدولي والتي تحتج على سياسات أو مواقف أو تعبر عن رأي أو تساند قضية ما في إطار سهولة إقامة تحالف دولي سريع لا يستند إلى الهوية بقدر ما يستند على الاهتمام بالقضية موضع الاهتمام.

(٦) د. سعاد محمود أبو ليلة القوة المتوسطة: دور الدول المتوسطة التقليدية والصاعدة في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، دراسات مجلة السياسة الدولية، العدد، ١٨٩، يوليو ٢٠١٢، ص ١٢ - ١٣.

وهناك تأثير على دور الاقتصاد في القوة العالمية من خلال بروز اقتصاد المعرفة والمعلومات ودورة في النمو الاقتصادي في العديد من دول العالم حيث يشكل ما يفوق ٨٠% من حجم النمو الاقتصادي في دول مجلس التعاون الاقتصادي لأوروبا، وبذلك يمكن ملاحظة أن الذكاء الاصطناعي كان له تأثير في عدة مستويات منها المستوى الجزئي الخاص بالدول والمستوى الوسيط الذي يضم فواعل ومؤسسات والمستوى الكلي الذي يشير إلى النظام الدولي والذي ينقسم إلى التأثير على مستوى العمليات والقضايا والثاني يتعلق بكون الذكاء الاصطناعي أصبح هو القوى المحركة.

ومن ثم فإن سلسلة التغيرات تلك التي أحدثها الذكاء الاصطناعي هي التي صنعت حول العالمي وعلى وجه الخصوص أن التغير يمكن أن يحدث داخل النظام القائم أو أن يتجه ذلك النظام إلى التحول وهو أعلى مراحل التغير، وقد جعلت دور ثورة المعلومات والاتصال من التغير يتم بوتيرة أسرع حيث تصاعد أهمية الزمن.

وساهم الذكاء الاصطناعي في إحداث عدد من التحولات العالمية، سواء فيما يتعلق بالعمليات وبالبنية أو الهيكل ونمط التفاعلات. وساهم الذكاء الاصطناعي في صعود دور الهوية والانتماء والتعددية الثقافية لفهم السياسات العالمية، وفي تعاضد دوره في تعزيز الروابط في مجالات مختلفة والعمل على تدويلها مع حرية انتقال الأموال والأفكار والأفراد، حيث يتأثر الآخرون بعملية الانفتاح على دول وثقافات مختلفة بما يعزز من فكرة الهجرة ونقل نموذج القيم إلى الداخل وانتشار قيم حقوق الإنسان وسهولة نقل الأموال عبر الذكاء الاصطناعي. وأدى كذلك الذكاء الاصطناعي على صعود حالة الأمن الإنساني المشترك وتسلط الضوء على قضايا البيئة والكوارث الطبيعية والفقر والحروب وغيرها والتي تؤثر على الأرض بشكل عام.

ورصد "روزناوا" أن مؤشرات التحول في النظام الدولي تتعلق من جهة أولى بدور المنظمات عبر القومية مثل دور الكنيسة الكاثوليكية أو الصليب الأحمر أو الحركات الاجتماعية والمشكلات عبر القومية كالمخدرات وتلوث البيئة والهجرة غير الشرعية والأحداث عبر القومية مثل دور الإعلام في تغطية الحروب مثل حرب الخليج الثانية، والجماعات عبر القومية القائمة على أساس الدين والمعرفة والتقاليد والهيكل عبر القومية المتصلة بالإنتاج والتمويل والمعرفة^(٧).

(7) Jemes n. rosenau, turbulence in world politics: a theory of change and continuity, Princeton, Princeton university press, 1990, pp 3-19

وشملت مؤشرات تأثير الذكاء الاصطناعي على المجتمع العالمي من خلال دوره في إحداث حالة من الاضطراب العالمي عبر ثلاثة مستويات:

يتعلق المستوى الأول: وهو الجزئي بدور الذكاء الاصطناعي في تنامي دور الفرد مقابل أطراف أخرى في العلاقات الدولية، وهو ما أظهر فوارق بين مواطني العالم، كما أثرت على علاقة المواطنين بدولهم وفقاً لما يسمى بثورة المهارات وازدادت قدرة الأفراد على تكوين التنظيمات والانضمام لها.

المستوى الثاني: ساهم الذكاء الاصطناعي في التأثير على بنية السلطة على اختلافها حيث تطورت مصادر الشرعية التقليدية ومن ثم استبدالها بمعيار جديد هو الأداء أي القدرة على إشباع حاجات المواطنين، وإذا دخلت السلطة في أزمة انتقل المواطنون إلى أبنية أخرى بناء على معايير جديدة للشرعية وترتب على ذلك تقلص سيادة الدولة القومية نظراً لتنامي أنماط التداخل في الشؤون الداخلية.

والمستوى الثالث: يتعلق بتأثير الذكاء الاصطناعي على الهياكل العالمية والتي أضحت الدولة في ظلها مطالبة بمواجهة منافسيها الجدد نتيجة لتنامي عدد الفاعلين الدوليين وتزايد إلحاح قضايا الاعتماد المتبادل. ولقد أثر الذكاء الاصطناعي على العناصر المكونة للنظام الدولي وبشكل أفرز شكل جديد يتكيف مع البيئة الإلكترونية الجديدة، وأصبح له تأثير على بنية النظام الدولي وعلى طبيعة العلاقات داخله وعلى بروز فاعلين آخرين على الساحة الدولية ليس فقط من بين الدول بل أيضاً من غير الدول، نتيجة ما أتاحه الذكاء الاصطناعي من إمكانات وقدرات قللت من أهمية القوة القومية للدول بشكلها التقليدي وجعلت هناك ذات طابع إلكتروني جديد.

وقد أحدث الذكاء الاصطناعي مجموعة من المتغيرات، سواء في مستوى الدول التي يتألف منها النظام الدولي أو درجات التغير في مستويات التنظيمات والمؤسسات الدولية أو مدى تأثير الذكاء الاصطناعي على مستوى الفاعلين من غير الدول، وكذلك التأثير في أحداث موجات للتغير الاجتماعي ذات الطابع الدولي وبروز أشكال جديدة من الحركات الاحتجاجية تعمل من خلال المجال الإلكتروني، وهو ما جاء مع تأثير الذكاء الاصطناعي على النسق الفكري وانتقال الأفكار وصعود دور تأثير للأديان في العلاقات الدولية، وكذلك أثر الذكاء الاصطناعي في تغيير في البيئة الأمنية الدولية وفي الاقتصاد الدولي وبروز نشاط وتبادل تجاري عبر الذكاء الاصطناعي.

فالديناميات داخل النظام الدولي ما زالت تدار عن طريقة التفاعل بين الوحدات والهيكل ومبادئ الفوضى والتوزيع غير العادل في القدرات المتعلقة بالاستحواذ على الموارد الطبيعية، وذلك مع سعي الدول إلى البحث عن تأمين مصادرها من القوة والمصالح، وفي داخل النظام ما زال يعاني من ضعف السيادة فوق الدول والتي من شأنها الحد من تأثيرات فوضى الهيكل. وهناك من يرى مثل "توماس فريدمان"، إن امتلاك الفاعلين من غير الدول لقدرات استغلال واستخدام القدرات الإلكترونية والشبكات من شأنها أن يؤثر على دور الدول والتي كانت هي الوحدة الرئيسية لتحليل النظام الدولي^(٨).

وأدت ثورة المعلومات لقيادة التغير في هياكل القوة وسيادة الدول بما أثر على مفاهيم الأمن وطبيعة الفاعلين ومصادر القوة التي تتحول من الطابع العسكري للاقتصادي إلى مصادر المعلومات، وأدى ذلك لانتقال السلطة من المركز إلى إعادة توزيعها داخل المجتمع الدولي، وزادت القوة داخل المجتمعات المحلية من نتيجة لإسهامها في الثورة التكنولوجية وقدرتها على الإنتاج المعرفي والمساهمة في مجتمع المعلومات العالمي، وأصبح لشبكات المعلومات والاتصال دور في القوة العسكرية سواء بالاستخدام المباشر أو غير المباشر^(٩).

وأصبح للذكاء الصناعي دور في تغير البيئة الدولية والعالمية، فالتطورات التكنولوجية وثورة المعلومات كانت عاملاً أساسياً وراء هذا التطور الحادث، وكان لها أكبر الأثر في إحداث هذا التطور في بنية النظام الدولي، ومن ثم فإن الذكاء الاصطناعي قد لعب دوراً في التغير في هيكل النظام الدولي بالمساعدة في استخدام القوة الناعمة لنشر الأفكار المضادة للشيوعية وافتتاح المواطن في الاتحاد السوفيتي على عوالم أخرى بما عمل على زيادة تطلعاته واصطدامه بصعوبة تحقيقها على أرض الواقع بما عمل على فقدان الشرعية والتماسك الأيديولوجي^(١٠).

(8) Thomas Friedman, Longitudes and Latitudes: Exploring the World After September 11 (New York, NY: Anchor Books, 2003).

(9) James R. Blaker, Transforming Military Force: The Legacy of Arthur Cebrowski and Network Centric Warfare. Westport, CT, Praeger Security International, 2007. pp 248.

(10) Richard J. Harknett and Craig T. Cobane Author(s): Introducing Instructional Technology to International Relations, PS: Political Science and Politics, American Political Science Association, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1997), pp. 496-500, Stable URL: <http://www.jstor.org/stable/420130>.

وأدت شبكات الاتصال والمعلومات إلى دعم عملية تحول العالم من الدولة القومية في إطار نظام الحرب الباردة، إلى "نظام العولمة" الاتصالي، واتجه النظام الدولي إلى درجة عالية من الاندماج^(١١).

وعلى الرغم من الإقرار باستمرار دور الدولة في لعب دور هام في النظام الدولي فإن الدولة أصبحت فاعلاً داخل النظام العالمي الأكثر تعبيراً عن عملية التحول أخذاً بالاعتبار عملية التوازن بين الدول والأسواق العالمية وتفويض الأفراد غير المحدود والشركات متعددة الجنسيات.

واختلفت أشكال الصراع في عصر الذكاء الاصطناعي والذي كان قاصراً على القوى الكبرى في مرحلة الحرب الباردة ليتحول إلى صراع ذي نطاق عالمي، وبرزت حركات احتجاج دولية تستخدم الذكاء الاصطناعي في شن الصراع على الدول مثل حركة أنيمونوس والتي أصبحت فاعلاً في النظام العالمي^(١٢).

ويري الباحث أن ثورة المعلومات والاتصال أدت إلى تحول من نظام سيطرة نظام الدولة القومية إلى نظام متعدد الأطراف، والتي حدثت نتيجة عدد من التغيرات المعاصرة في تكنولوجيا المعلومات وتأثيراتها وتساعد دور الفاعلين من غير الدول وإتاحة الفرصة أمام عدد من الدول إلى تبني سياسات تكنولوجية بما جعلها في مصاف الدول المتقدمة تكنولوجيا والصاعدة في النظام الدولي وعلى وجه الخصوص مع خصائص التكنولوجيا والتي يمكن لها أن تعمل على تضيق الفجوة في زمن قصير، مثل تصاعد دور الصين في الفضاء الخارجي واختراق الهيمنة الأمريكية عليه.

كما يرى الباحث أن الذكاء الاصطناعي أثر في النظام الدولي عبر تحويله إلى مجتمع عالمي يتميز بخصائص عالمية ويتداخل فيه مسارات التغيير ذات الطابع المحلي والأخرى ذات الطابع العالمي من منطلق أن العالمي يحدد العالمي وزادت العلاقة بين العالمي- المحلي والمحلي- العالمي، وانتقال عمليات التفاعل إلى مؤسسات فوق الدولة وأحياناً آخر "دون الدولة" ومن خلال كل هذا تتغير الدولة نفسها وتتأقلم.

(11) Jho, Whasun. and Kim, Jinhong. "Power Politics in the Formation of Global Technology Standard" Paper presented at the annual meeting of the International Studies Association Annual Conference "Global Governance: Political Authority in Transition", Le Centre Sheraton Montreal Hotel, MONTREAL, QUEBEC, CANADA, Mar 16, 2011 Online <APPLICATION/PDF> 2011-03-24

(12) "System Perturbation: Conflict in the Age of Globalization," in War and Virtual War: The Challenges to Communities eds. Jones Irwin (New York, NY: Rodopi, 2004). http://www.allacademic.com/meta/p498836_index.html

المطلب الثاني

الذكاء الاصطناعي والتأثير في بنية وعلاقات القوى داخل النظام الدولي

١- أثر الذكاء الاصطناعي على مستوى بنية النظام الدولي

كان لدور الذكاء الاصطناعي في تغير طبيعة القوة وعناصرها عامل مؤثر على مركز القوى الدولية وإلى إعادة ترتيب الدول وفق قدراتها التكنولوجية والعلمية بغض النظر عن قدراتها في مجال القدرات التقليدية، وهو ما أثر في سلوك الوحدات الدولية، وبرز في ذلك وهو اتجاهان الأول فقد انطلق من دور الذكاء الاصطناعي في التأثير على هيكل النظام الدولي والذي من شأنه تحريك التفاعلات الدولية في سبيل الصراع على الاستحواذ على المعلومات والمعرفة كعنصر جديد من عناصر القوة القومية، وعمل بروز ذلك الشكل الجديد من القوة إلى إعادة توزيع القوة بين الوحدات في النظام الدولي، والتأثير على عملية التحول من النظام الدولي أحادي القطبية إلى مجتمع عالمي متعدد الأقطاب^(١٣).

وأما الاتجاه الآخر، فيرى أن الذكاء الاصطناعي قد أدى إلى صعوبة التمييز بين البعد الهيكلي للتحولات الدولية وبين السلوك السياسي للوحدات الدولية، وإن بنية الوحدة والتأثير في هيكلها من شأنه أن يؤثر بالتبعية على سلوكها الخارجي، وتحديدها لبنية النظام الدولي ممكنة.

ويري الباحث أن ظاهرة الذكاء الاصطناعي أثرت في بروز دول صاعدة في النظام الدولي ومنافسة للقوة الأمريكية اعتماداً على تمكنها من التقدم في مجال العلوم والتكنولوجيا وفي البرمجيات والأجهزة والاستحواذ على السوق العالمي، ومن ثم فقد عمل الذكاء الاصطناعي على نحو مغاير لما كان عليه الوضع إبان الحرب الباردة من التحول من حالة الاستقطاب إلى عصر القوة النسبية والاعتماد المتبادل واتجاه الدول الكبرى إلى توظيف الذكاء الاصطناعي في استخدام القوة الناعمة ومد النفوذ والسيطرة والهيمنة.

(13) Jodok Troy, towards a New Paradigm in International Relations, The Whitehead Journal of Diplomacy and International Relations Bringing Religion into International Relations., Jonathan Fox and Shmuel Sandler. New York: Palgrave Macmillan, 2006. P. 212

وفي تعزيز القدرات الاقتصادية والأمنية والعسكرية والعمل على منع ظهور قوى منافسة، والتي تتم عبر فرض عقوبات لمنع تصدير التكنولوجيا -حالة إيران- أو من خلال تخصيص الميزانيات الضخمة في مجال البحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعي، ومحاولة استخدامه في الأعمال العدائية والتجسسية على الدول الأخرى.

وفي دعم التحالفات الدولية. وبرز اتجاهان الأول يرى إن الذكاء الاصطناعي ومكوناته من تكنولوجيا الاتصال والمعلومات قد ساعدت في تحقيق التنمية الاقتصادية في الدول المتقدمة بينما يرى اتجاه آخر أنه لم يؤد إلى التنمية بل إلى مزيد من ممارسة الاحتكار والهيمنة على الدول النامية وتأصيل الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة في مجال التكنولوجيا، ويستند الاتجاه الأول على أن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات قد ساعدت على تقليل تكلفة العمل وتشجيع الاستثمار في الدول النامية.

وشهدت تلك الدول حالة انتشار سريعة لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات مقارنة بالوقت الذي استغرقته في عملية مد خطوط السكك الحديد أو الكهرباء، وأتاح الذكاء الاصطناعي الفرصة أمام تلك الدول إلى تعزيز فرصها في السوق العالمي ودعم نموها الاقتصادي، وعملت كذلك على تخفيض حجم ورأس مال الشركات العالمية في مجال الاستثمارات التكنولوجية.

وأما الاتجاه الثاني فيرى إن عملية مد الشبكات الخارجية ساعدت فقط المبادرين في إنشائها بما أعطاهم موقعاً احتكاريًا ومهيمنًا، مثل وجود عدد من الشركات الأمريكية المحتكرة للخدمات الإلكترونية وأن عملية تحول القوة من البائع إلى المشتري قد أضرت بالدول النامية، وإن المكاسب الكبيرة للاستثمار في التكنولوجيا المتقدمة قد عملت على تحقيق مكاسب أقل للمستثمرين في الدول النامية.

وأدت عملية نمو السوق الخارجي في الدول المتقدمة إلى جذب العقول والأموال والأفكار إليها من الدول النامية بما يحقق لها خسائر فادحة وهناك اتجاه رئيسي آخر يرى أن الذكاء الاصطناعي من شأنه أن يعزز الاتجاه التعددي في العلاقات الدولية، وإن التغييرات التي أحدثتها قد عملت على زيادة الاعتماد المتبادل وبما عمل على التقليل من فرص اللجوء إلى القوة في تسوية النزاعات الدولية، وأثر الذكاء الاصطناعي في التغير أولاً، داخل النظام والذي يحدث نتيجة التغير في شكل القدرات، وثانياً،

بالعمل على تغير النظام ذاته أي تحول في هيكل العلاقات الدولية، ويرى "كوكس" إن التحول إنما هو التغير في أي من المستويات الثلاثة المتعلقة بتنظيم الإنتاج وشكل الدول وهيكل النظام العالمي^(١٤).

ويعرف الماركسيين "التحول" بالرؤية أو النموذج الذي يعبر عن الحتمية التاريخية وتفاعلها مع عوامل الإنتاج وإن أي تطور في المستويات الثلاثة تمثل تحولاً في الهيكل الدولي وليس مجرد تغير محدود لأنه بمثابة خطوة ومرحلة متقدمة أخرى في التطور التاريخي تجاه المجتمع المنشود^(١٥).

وعرف "وندت" الهيكل بأنه يتكون من القدرات المادية والمصالح والأفكار ولكن هذه الأخيرة هي التي تلعب الدور الحاسم في إحداث التحول، ومن ثم فإن الهيكل يعبر عن توزيع الأفكار والمصالح وعملية التحول في الثقافة السائدة في النظام الدولي، والتي قد يسيطر عليها الفوضى والاعتماد على الذات كما رأى "هوبز" أو كما يرى "لوك" بأنها نوع من القيود والمحددات على السلوك أو أن يسود تلك الثقافة مفهوم الأمن الجماعي وتحدث عن "كانت"^(١٦).

ويركز "سوسيناو" على تفاعلات السياسات العالمية كأساس للتغير والتي تؤدي إلى صعود هياكل وعمليات جديدة الأمر الذي يشير من وجه نظره إلى أنه من غير المناسب الاستمرار في الإشارة إلى الحقل الذي تحدثت فيه على أنه "سياسات دولية" ويندرج تحت هذا الاتجاه "ديفيد هيليد يري" التحولات من خلال التغير في العمليات ومن ثم فهو يفهم التحول من خلال العولمة والتي يرى أنها ليست بظاهرة اجتماعية جديدة تواجدت من قبل^(١٧).

٢ - الذكاء الاصطناعي وإعادة توزيع موارد القوة في العلاقات الدولية

أدت عملية التطور في تبني تطبيقات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى التأثير على القوة بين الدول وأحدثت متغيرين على القوة لعل أهمها هو العمل على أحداث التحول من مركز القوة في الغرب إلى الشرق، وأما التغير الثاني هو العمل على أحداث تغيير في توزيع القوة ليشمل أطراف من غير

(14) Robert Cox, global changes and theoretical challenges approaches to world politics for the 1990s, us: Lexington book., 1989, p 37-40.

(١٥) مروة محمود فكري: "أثر التحولات العالمية على الدولة القومية خلال التسعينات" دراسة نظرية، رسالة ماجستير جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٤، ص ٢١.

(١٦) عبد الله أحمد محمد البردي، أثر التحولات الدولية على أمن الخليج العربي (١٩٩٠ - ٢٠٠٣)، رسالة، ماجستير كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٧ - ٣٩.

(17) David held, global transformation: politics, economics and culture, Cambridge, polity press, 2000, p414

الدول مثل تنامي قوة الشركات متعددة الجنسيات وعلى وجه الخصوص العاملة في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

وهو ما جعل الفاعلين من غير الدول لهم قوة في الشأن الدولي فضلاً عن قوتهم الاقتصادية. ومع بروز معيار جديد للقوة استناداً إلى درجة تبني الدولة للتقدم التكنولوجي وقدرتها على الحفاظ على مركزها في الابتكار والإنتاج؛ وهو ما أدى إلى ضعف التصنيفات القديمة للدول في التعبير عن الواقع مثل تصنيف العالم إلى دول عالم الثالث والأول والثاني حيث لم تعد كافية للكشف عن عمليات التحول في هياكل القوى والتغيير داخل المجتمع العالمي.

وأثر الذكاء الاصطناعي على القوى الهيكلية طويلة الأجل مع الانتشار غير المسبوق في شبكات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وحدثت طفرات هائلة في الاستخدام والانتشار. فقد أثر التغيير التكنولوجي في التغيير في القوة في النظام الدولي بالتوصل إلى الأسلحة النووية وتطور نظريات الردع والسلام والحرب، وأصبح لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات دور مؤثر في التغيير الاجتماعي المساهم في الاندماج العالمي مثل سقوط الاتحاد السوفيتي والشيوعية في أوروبا الشرقية^(١٨).

وحدثت تغييرات هيكلية في القوة في النظام العالمي بعد انهيار الحرب الباردة، وكان لدور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات دور كبير في عملية التحول في القوة وفي التأثير على عملية توزيع عناصرها ومدى تكافؤها، وعلاقات القوة التي تمثلها^(١٩).

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي أثر في تحريك عملية التفكيك والتفتيت في النظام الدولي والنظم الإقليمية والدولة الوطنية، ولعب عاملاً مساعداً في انهيار المنظومة الاشتراكية وفي تحول النظام العالمي إلى أحادية القطبية بفعل قدرة الولايات المتحدة على استثمار قدراتها الناعمة في إسقاط الاتحاد السوفيتي دون قتال، ودفعت عملية سيطرة الولايات المتحدة على الإنترنت وتحولها أي مجال عالمي إلى ممارسة المزيد من النفوذ وتحوله إلى أداة إعلامية وسياسية لخدمة أهداف السياسية الخارجية الأمريكية.

(18) Eugene b. skolnik off, the elusive transformation: science, technology, and evolution of international politics, new jersey, prediction university press, 1993, p 49

(١٩) السيد ياسين، قراءة استشرافية لخريطة المجتمع الكوني الجديد، التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩٣، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - الأهرام، ١٩٩٤ ص ٤١-٣١).

وما ترافق ذلك مع بروز دور الشركات التكنولوجية كلاعب عالمي بما أعطى الفرصة في التحكم في سير التفاعلات السياسية والاقتصادية على الساحة الدولية. وفي ظل تنامي القوة الإلكترونية كمحرك للتفاعل الدولي فإن الدول الضعيفة أمامها تحدي الاستفادة من عمليات التكامل والتكثف دون أن تقع في مصيدة التبعية أو بالاتجاه إلى قيام تحالفات وتكتلات مستقلة وأثر الذكاء الاصطناعي على حدوث مزيد من عمليات التفكير للدول لما يتوقع أن يكون لها من تأثير على عملية استقرار المجتمع الدولي وتفاعلات النظام العالمي^(٢٠).

وأدى الذكاء الاصطناعي إلى التأثير المتبادل بين عدد أقل من الكيانات الأكبر حجماً تزداد فاعليته وتأثيره على الساحة الدولية وبين قدرة عدد أكبر من الكيانات الأصغر حجماً تقل فاعليته فيما يؤكد "دوران" صاحب نظرية دورة القوة على مفهوم القوة النسبية والتي يتجسد في نصيب الدولة من مصادر القوة المجتمعية. وهو ما يؤثر في هيكل النظام الدولي عبر تآكل الهياكل المتوفرة على مستوى البنى السياسية والاقتصادية الوطنية والإقليمية والدولية لصالح نسق سياسي واقتصادي عالمي.

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي أدى إلى توزيع القوة عن طريق دوره في إحداث انتشار ملحوظ في موارد القوة بين عدد أكبر من الفواعل الرئيسية في النظام العالمي مقارنة بحالة الشد في موارد القوة بين الدولتين العظميين في النظام العالمي السابق ثنائي القطبية.

فقد دفع الطابع الدولي لظاهرة الذكاء الاصطناعي على انتشار حجم القوة وإتاحة الفرصة أمام امتلاكها وإتاحة الوسائل لاستخدام ما أتاحه الذكاء الاصطناعي أمام فاعلين غير تقليديين حلية للتأثير في حركة العلاقات الدولية، وساعد الذكاء الاصطناعي في إدماج المجتمعات المحلية في السياسة الدولية وكأداة في عمل الجماعات الإرهابية أو الحركات الاحتجاجية أو أنها قد مكنت الفرصة أمام تصاعد دور الفرد في العلاقات الدولية من خلال قدرته ومهارته على استثمار مقدرات الذكاء الاصطناعي في التأثير على نمط التفاعلات الدولية عبر الدول والمجتمعات.

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي أثر على الأنماط المختلفة لتركيبات هياكل القوة الدولية وأصبح لها تأثير على استقرار النظام الدولي، حيث لم تعد الدولة هي الفاعل الرئيسي في العلاقات

(20) David A. Lake, "Hierarchy in International Relations: Authority, Sovereignty, and the New Structure of World Politics", the annual meetings of the American Political Science Association, Chicago, IL, September 2-5, 2004,

الدولية، وأثر الذكاء الاصطناعي في نمو التفاعلات التكاملية ودور التنمية الاقتصادية والتجارة الدولية والتي تشكل ضغوطاً في اتجاه التعاون الدولي.

وأصبح هناك أبعاد أفقياً للتفاعلات العالمية تتعدي تلك الراسية التي تؤكد عليها مدرسة "النظام الدولي". وأدت ثورة المعلومات لقيادة التغير في هياكل القوة وسيادة الدول بما أثر على مفاهيم الأمن وطبيعة الفاعلين ومصادر القوة التي تتحول من الطابع العسكري للاقتصادي إلى مصادر المعلومات، وأدى ذلك لانتقال السلطة من المركز إلى إعادة توزيعها داخل المجتمع الدولي، وزادت القوة داخل المجتمعات المحلية بسبب إسهامها في الثورة التكنولوجية وقدرتها على الإنتاج المعرفي والمساهمة في مجتمع المعلومات العالمي، وأصبح لشبكات المعلومات والاتصال دور في القوة العسكرية سواء بالاستخدام المباشر أو غير المباشر^(٢١).

٣- الذكاء الاصطناعي والدول الكبرى والصغرى في النظام الدولي

الذكاء الاصطناعي على علاقات القوى والدفع بظهور مجتمع عالمي يمكن أن يكون فيه درجة من الوفاق بين القوى الكبرى والصغرى في النظام الدولي^(٢٢)، وانقسم تأثير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على القوة بنوعيهما الصلب والمرن، فتتعلق القوة المرنة داخل القوى الكبرى بأنها تساهم في توسيع دائرة الإنتاج ودفع النمو الاقتصادي وتتيح الفرصة للقوى الكبرى أن تمارس هيمنتها على النظام الدولي،

أما بالنسبة للقوى الصغرى في النظام الدولي فإن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تساعدها في عملية التفاعل لدى المنظمات الدولية وتقليل حجم الاعتماد على الأشخاص وإنشاء تجمعات إلكترونية وبناء تحالفات دولية.

أما فيما يتعلق بالقوة الصلبة وعلاقاتها بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات فإنها تساعد القوى الكبرى على إحداث ثورة في الشؤون العسكرية والقيام بالاستثمارات الضخمة في مجال التقنية

(21) James R. Blaker, Transforming Military Force: The Legacy of Arthur Cebrowski and Network Centric Warfare. Westport, CT, Praeger Security International, 2007. pp 248

(22) Edward N. Luttwak, where are the Great Powers? At Home with Kidds, Foreign Affairs, Vol. 73, No. 4, (July August (1994). pp. 23-28.

19- William Pfaff, "Reading World Order", Foreign Affairs, vol. 70, No 1, 1991. and: Barry Buzan, "New Patterns of Global Security in the Twenty. First Century, International. Affairs, Vol. 67, No. 3, (July (1991

وإعطائها الفرصة لتكون اللاعب الأول والمؤثر في هيكل القوة داخل النظام الدولي، أما بالنسبة للقوى الصغرى فإن دور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات يقتصر على دعم إمكانياتها التجارية والبنية التحتية والمجال الاقتصادي.

ويأتي هذا مع زيادة أهمية العلم والتكنولوجيا والتي أصبحت ظاهرة أكثر ارتباطاً بالعصر الحديث، وأصبح هناك ارتباط وثيق بين التكنولوجيا والأغراض المدنية والطبية والخدمية وغيرها إلى جانب دور التكنولوجيا في الجانب العسكري فيما يتعلق بدورها في التأثير على طبيعة ونوعية الأسلحة وقدرتها التدميرية، وعمل هذا التطور ثنائي الاستخدام للتكنولوجيا على إحداث تغير في مصائر الدول وقدراتها القتالية وميزانها العسكري وقوتها النسبية مع غيرها، وقدرتها على السيطرة والنفوذ والثروة وارتباط ذلك بأهمية دور القوى

ويري الباحث أن تباين تأثير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على القوة بنوعيتها الصلب والمرن، وكذلك بالنسبة لدور الدولة. فتتعلق القوة المرنة داخل القوى الكبرى بأنها تسهم في توسيع دائرة الإنتاج ودفع النمو الاقتصادي، بما يتيح للقوى الكبرى أن تمارس هيمنتها على النظام الدولي. وبالنسبة للقوى الصغرى في النظام الدولي فإن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تساعد في: عملية التفاعل لدى المنظمات الدولية تقليل حجم الاعتماد على الأشخاص، إنشاء تجمعات إلكترونية، بناء تحالفات دولية.

أما فيما يتعلق بعلاقة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات بالقوة الصلبة فإنها تساعد القوى الكبرى على: إحداث ثورة في الشؤون العسكرية وضخ الاستثمارات الضخمة في مجال التقنية لإعطائها الفرصة كي تكون اللاعب الأول والمؤثر في هيكل القوة داخل النظام الدولي. وبالنسبة للقوى الصغرى فإن دور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات يقتصر على دعم إمكانياتها التجارية والبنية التحتية والمجال الاقتصادي.

يأتي هذا مع تزايد أهمية العلم والتكنولوجيا والتي أصبحت ظاهرة أكثر ارتباطاً بالعصر الحديث، وأصبح هناك ارتباط وثيق بين التكنولوجيا والأغراض المدنية والطبية والخدمية وغيرها، إلى جانب دور التكنولوجيا في الجانب العسكري فيما يتعلق بدورها في التأثير على طبيعة ونوعية الأسلحة وقدرتها التدميرية وقد عمل هذا التطور ثنائي الاستخدام للتكنولوجيا على إحداث تغير في مصائر الدول

وقدراتها القتالية وميزانها العسكري وقوتها النسبية مع غيرها، وقدرتها على السيطرة والنفوذ والثروة، وارتباط ذلك بأهمية دور القوى البشرية^(٢٣).

٤ - تأثيرات الذكاء الاصطناعي على علاقات القوى الدولية

أ- دور الذكاء الاصطناعي في التغيير في بنية علاقات القوى، عبر تعزيز قدرة الدول على التأثير في سياسات القوة من خلال ما تمتلكه من قوة تكنولوجية قائمة على نظام معلومات متطور يعتمد على التقدم في عالم البرامج والحسابات الإلكترونية، ودور الذكاء الاصطناعي في انتقال المعلومات وتبادلها بشكل مكثف سقوط النظرة الأيديولوجية المحددة للتاريخ، التي قد يفرضها نظام سياسي معين ولا توجد ثبات في توزيعات القوة فاحتمالات تغيير الهرمية الدولية قائم أكثر من ذي قبل بفعل تأثير الثورة المعلوماتية، وأن القدرة على التأثير لن تكون مرتكزة على نطاق جغرافي محدد بل منتشرة عبر العالم وبدرجات متباينة، ووجود صور عديدة لجمع المعلومات والتجسس والنشاطات السرية الدولية.

ب- تم استخدام الذكاء الاصطناعي في علاقات القوى الدولية عبر التغيير في الوظيفة من خلال التأثير والنفوذ، حيث لا يأتي النجاح في التأثير في الآخر عن طريق السيطرة عليه بالضرورة بل إنما عن طريق تدمير عملياته التنظيمية من الداخل وتدمير قدرته على تحليل المعلومات^(٢٤)، وأتاح الذكاء الاصطناعي وثورة المعلومات القدرة على توسيع الخيارات مع تنوع العلاقات وتشابكها والتي قد تمتزج ما بني الصراع والسلام والتعاون والمنافسة.

ج- تم استخدام الذكاء الاصطناعي في تعزيز علاقات القوى الدولية وعلى وجه الخصوص التغيير في الأسلوب عبر تسويق وجهات نظر الدول وتوجهاتها في سياستها الخارجية سواء في شكل مواقع الدولة الرسمية على الإنترنت أو استخدام شبكات التواصل الاجتماعي أو نشر إعلانات إلكترونية أو استخدام العلاقة مع وسائل الإعلام الدولية والصحف والقنوات عبر الإنترنت.

(23) Jeffrey C. Sobel, **Digination: The Birth of Cyber-Nations**. Maxwell AFB, AL, Air Command and Staff College, 2005. P:30.

(٢٤) مراد إبراهيم الدسوقي، حرب المعلومات: أثر التطور التكنولوجي على تداول المعلومات في الحرب المعلوماتية،

السياسة الدولية، العدد ١٢٣، يناير، ١٩٩٦، ص ٨١

كريم حجاج، حرب المعلومات وتطور المذهب العسكري الأمريكي، السياسية الدولية، السنة ٣٢، العدد ١٢٣ يناير ١٩٩٦، ص ١٣٢ - ١٣٣

ويتم استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث عن تعظيم القدرة على التأثير في مجال التفاعلات السياسية ذات الطابع الدولي سواء عبر التعاملات الإلكترونية أو التبادلات أو التدفقات الإعلامية والمعلوماتية والتي تبرز أهداف الدول ونظرتها للعلاقات الدولية، ودفعت عملية دعم التأثير المباشر إلى إتاحة الفرصة لتبني التعاون بوصف أنسب مجال للتأثير في الغير^(٢٥).

د- أن التهديدات الأمنية الجديدة التي فرضها الذكاء الاصطناعي تتطلب جهداً دولياً، وعلى الرغم من التنافس في مجال الاستحواذ على التكنولوجيا بين القوى الكبرى إلا أن هناك درجات من التعاون بينها حيث المزج بين التنافس والاعتماد الاقتصادي.

هـ- اتجاهات تأثير الذكاء الاصطناعي في طبيعة التغير في هيكل النظام الدولي

- أثر الذكاء الاصطناعي في لعب دور في توزيع القدرات بين وحدات النظام الدولي وإعادة تشكيل خارطة القوى العالمية استناداً إلى تقدمها في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ودورها في الناتج القومي الإجمالي وسيطرة الاقتصاد الرقمي على حركة نمو الاقتصاد العالمي والاعتماد على قوة المعلومات والمعرفة، ورأس المال البشري أكثر من الاعتماد على المواد الخام والثروات الطبيعية. ولعب دور كبير في تحول القوة الآسيوية في العقد الأخير.

- أن استشراف مستقبل النظام الدولي في الأجل الطويل بالاعتماد على جميع المتغيرات من أجل الوصول إلى أحكام نهائية بشأن هيكل وطبيعة النظام الدولي وعلى وجه الخصوص تزايد الارتباط بين القوة العسكرية والقدرات الاقتصادية، وتساعد دور التكنولوجيا في زيادة الاعتماد المتبادل.

- ساهم الذكاء الاصطناعي في إحداث تحول نحو تركيز أقل في هيكل القوة بين الدول وانتشار القوة بين وحدات النظام الدولي، وهو ما أثر على انتشار نسبي للقوة في المنظومة العالمية.

- أدى الذكاء الاصطناعي إلى صعود طرق المنافسة بين الدول على مستوى الابتكار والأسرار التجارية والأفكار والمنافسة الاقتصادية بين القوى الكبرى على الاستحواذ على الأسواق التجارية.

(٢٥) ألفين توفلر وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة: الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، تعريب صلاح عبد الله الدار الجماهيرية للنشر، سرت، ليبيا، ١٩٩٥، ص ٣٦٣

- أدى الذكاء الاصطناعي إلى عدم الانسجام بين مؤشرات القوة والمكانة، حيث حالات من الدول لديها قدرات تكنولوجية واقتصادية وليس لديها قوة عسكرية وهو ما أثر كذلك طبيعة علاقات القوة كحالات التحالف والاستقطاب.
- التغير السلمي غير العنيف والذي يعد من أكثر التغيرات التي أصبح لها دور في التغير في النظام الدولي نتيجة الانفتاح على الأفكار وانتقالها عبر أرجاء العالم المختلفة عبر الذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى تدفق المعلومات وتعاضم حجمها وتعدد مساراتها وتعاضم تأثيرها.
- أثر الذكاء الاصطناعي في حالة اندماج المجتمعات المحلية في السياسة العالمية والسرعة والكثافة المتزايدة للاندماج في الاقتصاد العالمي.

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي يعزز من علاقات القوى الدولية من خلال قدرة الدول على التأثير في سياسات القوة من خلال ما تمتلكه من قوة تكنولوجية قائمة على نظام معلومات متطور، والتأثير والنفوذ، وتسويق وجهات نظر الدول وتوجهاتها في سياستها الخارجية، الاستحواذ على التكنولوجيا بين القوى الكبرى، ومدي التغير في هيكل النظام الدولي.

المطلب الثالث

دور الهيمنة السيبرانية في العلاقات الدولية

أولاً: الاتصالات كمحرك الهيمنة في تاريخ العلاقات الدولية:

كان للهيمنة السيبرانية (cyber hegemony) أثر بالغ في ظهور النظام الاتصالي تحت سيطرة الدول الكبرى من أجل ممارسة السيطرة المركزية على أغلب شعوب العالم، وكان لذلك دور في التوسع الإمبريالي في القرن ١٩ والذي ارتبط بكفاءة نظم الاتصال الداخلية والخارجية؛ وهو ما أثر على حركة القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وارتبط ذلك بظهور وكالات الأنباء العالمية قبل منتصف القرن ١٩ من أجل خدمة التوسع الاستعماري وخدمة المصالح الغربية من خلال تشجيع نمو التجارة والاستثمار وتوفير مصدر موثوق عن أوضاع الاقتصاد العالمي وتوفير المزيد من المعلومات التي تؤثر على التحالفات السياسية والأمنية وتعبئة السكان في المستعمرات تجاه الدول الكبرى وفرض الهيمنة الثقافية على شعوب المستعمرات من أجل تغير لغتها وتاريخها وثقافتها المحلية.

وارتبط ذلك بإطلاق حرية الصحافة من أجل نشر الأفكار الليبرالية تعبئة الرأي العام والضغط على الحكومات، مثلما حدث في التدخل العسكري الأمريكي في كوبا.

وظهر ارتباط في نهاية القرن ١٩ بين المصالح الاستراتيجية للدول بمصالح الشركات عبر الوطنية خاصة التي تعمل في مجال الاتصالات وشهدت نهاية القرن العشرين انتشار الهاتف في أوروبا وتحولت الشركات المشغلة إلى شركات عابرة للحدود، وهو ما أفرز تلك الابتكارات التكنولوجية تحدياً لمفاهيم سيادة الدول وعلى وجه الخصوص مع تطور حركة الملاحة الجوية والتقدم في مجال الاتصالات وارتبطت بحركة الكشف الجغرافية وبدأت محاولات عولمة الثقافة الأوروبية عبر اختراق الأسواق الخارجية.

وكان من ضمن ذلك القيام بعملية تسويق المنتجات الثقافية إلى الخارج وانتشار السينما والخدمات الإخبارية الدولية، وأدى الإحساس المتزايد بالقدرات الاتصالية أن سعت الدول إلى تطوير نظريات البعد المكاني للتبادلات الدولية والمجال الحيوي للدولة كمبرر للتوسع الاستعماري.

وأدت الثورة الصناعية في أوروبا التي ارتبطت بالتقدم التكنولوجي في مجال الإنتاج إلى بروز حوافز للتوسع الاستعماري لمواجهة زيادة الطلب على المواد الخام، وفتح أسواق جديدة في المستعمرات؛ وهو ما أدى إلى نمو رؤوس الأموال، وسعت الدول الكبرى إلى إبرام اتفاقيات دولية تعمل على تنظيم استخدام الوسائل الحديثة في الاتصال مثل البرق والهاتف إلى أن ظهر الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية في عام ١٩٣٢.

وساعد على ذلك نمو دور الدول كفاعل في العلاقات الدولية عبر احتكارها لوسائل الإعلام والاتصال، وهو ما كان له انعكاس إيجابي على نمو الروح القومية لدى الدول والتي شجعت على نمو حركة الاستعمار الخارجي والمنافسة مع القوى الاستعمارية الأخرى، ومن جهة أخرى حدوث تنافس بين الشركات العابرة للحدود وبينها وبين الدول فيما بعد والتي كانت تقدم خدماتها للدول وواجهت صعوبات في السيطرة عليها وعلى وجه الخصوص في مجال قضايا الخصوصية وتقاسم الأرباح.

وفي فترة الحرب العالمية الأولى تطورت قدرات النظام الاتصالي الدولي في التوظيف الاستراتيجي للاتصال في المجال العسكري وفي تحقيق أهدافها الخارجية، وأصبحت البنية التحتية للاتصالات ذات أهمية استراتيجية للدول الكبرى وعلى وجه الخصوص الكابلات البحرية والتي أصبحت

من الأهمية في منع تعرضها للتخريب أو العدوان عليها مع تصاعد أهميتها في السيطرة والتوجيه والاتصال، وقامت بريطانيا بتدمير الكوابل البحرية الألمانية من أجل عزل ألمانيا عن مستعمراتها وكذلك الولايات المتحدة، واستطاعت بريطانيا تطوير شبكة اتصالاتها بإنشاء ١٢ محطة سلكية طويلة المدى عبر العالم، وهو الأمر الذي سمح لقيادة القوات البحرية بالاتصال مباشرة من لندن بوحدات الأسطول البريطاني؛ وبذلك تم توظيف الاتصال في الصراع.

ومع بروز موجات البث الإذاعي أصبحت الدول تحاول حماية موجاتها من التشويش أو الاختراق أو التجسس ومحاولة تحديد مصادر الموجات الصادرة من الأعداء لتحديد مواقعها وأحداث ثورة الاتصال آنذاك تطور هام في التفكير العسكري في الحرب العالمية الأولى ولعب التلغراف دوراً مهماً في القيادة والسيطرة، ودفع تمكن بريطانيا من اختراق واعتراض حركة التلغراف الألماني والتي مكنتها من الكشف عن برقية ألمانية لطلب المكسيك بالدخول إلى الحرب وهو ما ساعد على تكوين مبرر لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.

ومن جهة أخرى فقد برزت الدعاية كإحدى أهم القضايا خلال الحرب العالمية الأولى لما لها من دور في إدارة العقول والعواطف والتأثير في الجماهير، حيث تم ممارسة الدعاية لفرض الضبط الاجتماعي في البيئة الدولية والسعي للتأثير في الشعوب عبر توجهاتها.

وتم استخدام وسائل الاتصال في الدعاية لتشويه المعلومات المتداولة دولياً عن عمد لخدمة مصالحها الاستراتيجية وكان الروس من أوائل من أدرك أهمية الإذاعة منذ الثورة البلشفية ١٩١٧، وأدرك الأمريكيون أن تطوير تلك التكنولوجيا والسيطرة عليها يمكن أن تحد من المزايا التي تتمتع بها بريطانيا من خلال سيطرتها على الكوابل البحرية وكان للدعاية البريطانية دور هام في انخفاض الروح المعنوية للألمان، وبرزت أدوات أخرى كالسينما والإعلام الحربي. وكان للحرب العالمية الأولى دوراً في نمو الرأي العام العالمي.

وفي الفترة من ١٩١٩ - ١٩٣٩ انتهت الحرب العالمية الأولى بتدمير البنية الأساسية للنظام الاتصالي الدولي وكانت المشكلة الأساسية هي العمل على إعادة بناء هذه البنية الأساسية لخدمة أهداف الحرب والسلام، وفي ظل التنافس بين الدول سعت الدول الأوروبية لإعادة بناء شبكتها الاتصالية وكذلك بريطانيا. ومن جانبها سعت الولايات المتحدة إلى تبني استراتيجية لعولمة صناعة الاتصالات،

بينما سعت بريطانيا إلى تحريم الكرة الأرضية بشبكات اتصالات لخدمة مصالحها، وكان لدور الشركات عبر الوطنية دور في مجال الاتصال والإعلام في الولايات المتحدة، وكان هناك تنافس نسبي بينهما، وكانت الشركات البريطانية والأمريكية تمتلك ٧٠% من الكوابل البحرية.

وتحدثت الشركات الأمريكية الهيمنة البريطانية على مجال الاتصالات، وفي عقد العشرينيات توسعت الشركات الأمريكية عالمياً، وهيمنت على صناعة الاتصالات، واستغلتها في مجال السيطرة على المصالح التجارية والصناعية واستخدمتها في دعم بعض نظم الحكم ووصل نفوذها في ١٩٧٠ إلى التآمر للإطاحة بالرئيس التشيلي المنتخب سلفادور أليندي.

وكان لظهور الإذاعة دور كبير في استخدامها في الدعاية وفي ١٩٣٥ بدأت هيئة الإذاعة البريطانية بالبث بلغات خارجية، وتم استخدامها في الدعاية؛ وهو ما أدى إلى بروز ظاهرة التشويش على الإذاعات في مواجهة الغاية التي تستهدف تقويض النظام السياسي للدولة. وحرصت الدول كذلك على التنافس في مجال الثقافة والآداب والفنون والسينما.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية شهدت الاتصالات الدولية تطوراً في استخدام الاتصال في إدارة الصراع الدولي، ويرجع ذلك إلى انتشار الإذاعات الدولية، وسعى الدول إلى التأثير في السيطرة وإعاقة استخدام الإذاعات الخارجية؛ وهو ما جعل عدداً من الدول تستخدم الإذاعات في الصراع وفي نشر الأفكار المضادة داخل الدول المعادية، وللعمل على شل قدرات الأطراف الأخرى على استقبال المعلومات أو إرسالها من خلال حرمان هذه الأطراف من ممارسة الاتصال.

وقامت الدول الحلفاء بقطع الكوابل البحرية الإيطالية واستخدام الراديو كمصدر للاستخبارات والرصد والتحليل والتأثير في الروح المعنوية للجماهير في الدول الأخرى، وابتكرت الدول المتحاربة وسائل خاصة للسيطرة على تدفق المعلومات والنفوذ بمعطياتها التي تدعم سيطرتها الاجتماعية إلى ما وراء الحدود، وقامت الدول بالتشويش على الخدمات الإذاعية للدول الأخرى، وتشويه المعلومات واختراق موجات البث والترويج للمصالح الأمريكية منذ عام ١٩٤٢ مع إنشاء صوت أمريكا.

وعلى الرغم من الإنجازات الهائلة للتكنولوجيا بحلول عام ١٩٠٠، شهدت العقود التالية أكثر تقدماً من خلال العديد من الأنشطة والابتكارات التكنولوجية والتي فاقت ما تم الوصول إليه على مدار التاريخ، ولقد تم كل اختراع الطائرات والصواريخ والمركبات الفضائية والإلكترونيات والطاقة الذرية

والمضادات الحيوية والمبيدات الحشرية، ومجموعة من المواد الجديدة وتطويرها لخلق حالة اجتماعية لم يسبق لها مثيل، حيث أتاحت المزيد من الفرص غير المسبوقة ومخاطر غير متوقعة والتي كان لا يمكن تصور حدوثها تقريباً قبل ١٩٩٠.

ثانياً: الهيمنة الإلكترونية وإعادة تعريف القوة في العلاقات الدولية

لعبت القدرة على الاستحواذ على التقدم التكنولوجي دوراً أساسياً في قوة الدول وفي ممارسة الهيمنة والسيطرة على المجال الدولي، وأصبح للتكنولوجيا دور في استثمار الموارد الطبيعية كمصادر الطاقة والتي أفرزت عملية زيادة التكنولوجيا المستخدمة في الكشف عنها إلى زيادة التنافس الدولي والصراع حول مكامن الطاقة الدولية وعلى وجه الخصوص في مناطق الحدود البرية والبحرية.

وكان للتقدم التكنولوجي دور في الاستخدام الدولي لمجالات دولية كالمجال البحري وأعلى البحار بالإضافة إلى المجال الجوي والذي ظهر أهميته مع اكتشاف حركة الطيران المدني والتي استلزمت إيجاد تنظيم دولي لذلك المجال الدولي، وأصبح يعبر عن فتحه أو إغلاقه عن طبيعة العلاقات بين الدول، ومثل التقدم في غزو الفضاء الخارجي إلى البحث عن مكامن أخرى للقوة عبر إطلاق الأقمار الصناعية والتحكم في البث الفضائي وهو ما ارتبط كذلك بالتقدم في مجال القوة الفضائية والبحث عن تأمين الأقمار الصناعية في الفضاء الخارجي من خطر الإسقاط أو استخدامها في مجالات علمية تساعد في التقدم العلمي أو في مجال التجسس وجمع المعلومات عن الدول الأخرى، وبلغ التطور استكشاف الفضاء الخارجي أو استخدام أسلحة المناخ أو التسبب في كوارث طبيعية أو في موجات من الوباء البشري، وأحدث دخول التكنولوجيا في المجال الحيوي ثورة أخرى في الحياة الإنسانية والقدرة على التطور في وظائف الإنسان والسيطرة على الطبيعة.

وتتعلق " الهيمنة الإلكترونية " ببعد صلب ترتبط بالقدرة على امتلاك مقدرات وأسلحة الاستحواذ على الذكاء الاصطناعي إلى جانب القدرة على التأثير المعنوي والنفسي في قطاعات عريضة من الجماهير، والتي تؤدي إلى تعميق التبعية للخارج. وساعد على ذلك تعدد استخدامات الذكاء الاصطناعي في مجال الثروة والمعرفة والتي أدت إلى بروز التبعية الاقتصادية والتغريب والتنميط الثقافي. عبر إنتاجها الاحتكاري لأدوات الهيمنة.

وأثر الذكاء الاصطناعي على الهيمنة على المستوى الدولي، وأثر على محدداتها والفاعلين في الهيمنة وانتقالها من الدول إلى الشركات التكنولوجية الكبرى والتي ما هي إلا غطاء لدول كبرى تحركها وفق مصالحها، وعكس الذكاء الاصطناعي حالة من عدم التوازن في تدفق المعلومات والأخبار بين الدول المتقدمة والنامية؛ وذلك في سبيل السعي إلى إيجاد نظام دولي للاتصالات يلئم التطورات التي فرضها تطور ظاهرة الذكاء الاصطناعي.

والتي فرضت أطراً للتعاون وفي نفس الوقت أتاحت الفرصة لتعزيز الهيمنة والسيطرة فيما يعرف "بنظرية الاستقرار الهيميني" والتي كان من روادها "كابلان" وهو ما قد ينصرف إلى أن تأثير الذكاء الاصطناعي في بنية النظام الدولي من شأنه أن يحدث إما تعظيماً للقوة المهيمنة على النظام الدولي أو بروز قوى جديدة، وهو ما يعيد التفكير في القوة، وقدمت "حنا أرندت" ترتيباً لمستويات القوة وعني الأول، باستخدام العنف والقهر والذي يمكن مراقبته وهو يأتي في شكل حروب وعمليات عسكرية على أرض الواقع، أما المستوى الثاني فيختص بالتحكم في البدائل المتاحة والتحكم في جدول الأعمال، والمستوى الثالث هو أعلى مراحل القوة، وهو ما يعني استخدام بعض عناصر القوة الأساسية بشكل يؤثر على طبيعة الصراع على القوة.

وإن كانت الهيمنة قد ارتبطت في الماضي بالسيطرة على الاقتصاد المعتمد على الموارد الطبيعية وحجم الجيوش فإن الهيمنة في عصر الذكاء الاصطناعي قد ارتبطت بالقدرة على التحكم والسيطرة في التكنولوجيا والقدرة على ممارستها ليس فقط على الدول أو على الأرض بل باتساعها مع تمدد الذكاء الاصطناعي، وتجاوز الحدود وسيادة الدول؛ وهو ما مكن الدول الكبرى في ممارسة أشكال متعددة من الهيمنة منها الجانب الثقافي والاقتصادي والعسكري والتكنولوجي.

وإن كان العالم قد شهد قديماً الاستعمار والذي كان يركز على توسع من جانب الدول القوية لحساب دول أخرى تقوم باحتلالها وإخضاعها بالقوة بهدف نهب ثرواتها الطبيعية وتسخير طاقاتها البشرية في خدمة مصالحها وتقوم الدول الاستعمارية القوية باحتلال أراضي الدول الضعيفة وإخضاع شعوبها بقوة السلاح فإن الذكاء الاصطناعي قد عمل على تغيير المعادلة وأطرافها ومساراتها وقوة

الفاعلين في ممارسة الهيمنة وعزز الذكاء الاصطناعي من فرص ممارسة الهيمنة السيبرانية cyberhegemony^(٢٦).

وقد أثار عملية انتشار القدرات التكنولوجية في النظام الدولي إلى التأثير كذلك على نمط انتشار القوة في النظام العالمي والتأثير على قدرات الدول المهيمنة مثل الولايات المتحدة، والتي على الرغم من احتكارها للقدرات العسكرية التقليدية وغير التقليدية إلا أنها أصبحت في مرمى التهديد والخطر من جانب دول أخرى نتيجة قدرتها على اختراق نظمها الدفاعية عبر شبكات الاتصال والمعلومات ومن ثم فإن القدرات الفعلية التي تمتلكها الولايات المتحدة لم تتواكب مع مكانتها العالمية وإلى الحد الذي يمكن القول إن ذلك مثل نهاية مفهوم القوة العظمى^(٢٧).

وأصبحت الحروب السيبرانية - الإلكترونية تعمل على تفويض النظام العالمي القائم، وعلى وجه الخصوص في حالة تحولها إلى اشتباكات عسكرية بين البلدان^(٢٨)، وسعت العديد من الدول إلى إنشاء وحدات داخل الجيوش الحديثة تختص بالمجال الإلكتروني. وترى الصين أن الأنظمة الدولية ذات الصلة يجب أن تتم في إطار الأمم المتحدة وأن بكين قدمت اقتراحات محددة^(٢٩).

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي وأنماط الهيمنة الجديدة في العلاقات الدولية

أدت ظاهرة الذكاء الاصطناعي إلى تنازع اتجاهين رئيسيين في العلاقات الدولية الأول يسعى إلى التركيز على دوره في تقوية روابط التكامل التي تدفع المجتمع الدولي نحو تحقيق اندماج متعدد الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى جانب ترابط كبير بين الدول والشعوب، وأما الاتجاه الثاني فإنه يركز على دور الذكاء الاصطناعي في أحداث فجوة رقمية شديدة بين دول الشمال والجنوب من ناحية داخل الدول من جهة أخرى وهو ما يكون له تأثير سلبي على المتمشيين وتعميق الفجوة الاقتصادية،

(26)' William Dan Perdue, The New Totalitarianism: Cyber-hegemony and the Global System Paper presented at International Roundtable On the Challenges of Globalization (Munich, 18-19 March 1999 <http://i-p-.org/perdue.htm>

(27) Ted Galen Carpenter, " The New World Disorder, Foreign Policy, No. A, (Fall 1991).

(28) Cyber warfare subject to Western hegemony, Global Times 2013-3-25

<http://www.globaltimes.cn/content/770576.shtml#.Ugao-KxlfFw>

(29) Sutirtho Patranobis, China doesn't want cyberspace hegemony, Hindustan Times, Beijing, 15 June 2013.

<http://www.hindustantimes.com/world-news/China/China-doesn-t-want-cyberspace-hegemony/Article1-1076568.aspx>

وهو ما يكون له تأثير على توافر بيئة مصدرة للتوترات الدولية وهو ما يكون له تأثير على السياسية الدولية.

وعلى الرغم من احتفاظ دول كبرى بالهيمنة التكنولوجية في مجال الذكاء الاصطناعي والفضاء الخارجي إلا أن إمكانية تحقيق التقدم أمام الدول الأخرى أصبحت متاحة وعلى وجه الخصوص مع اعتماد ذلك التطور على التدريب والتعليم والقدرات البشرية المتوافرة والتي تتميز بها الدول الأقل تقدماً في مجال التكنولوجيا، وهو ما يجعل بعض الدول الكبرى تعمل على جذب العقول من العلم الثالث للعمل لديها ولخدمة مشروعاتها العلمية.

ويرى الباحث أن الذكاء الاصطناعي ساعد في تدعيم الهيمنة الإلكترونية، وتغيير الخريطة المعرفية للدولة المستهدفة وتغيير رؤيتها لمصالحها الذاتية، وهو ما كان له تأثير على كيفية تأثير الذكاء الاصطناعي على استخدام القوة الإلكترونية عبر أدواتها المختلفة في الصراع الدولي، واستخدام القوة الناعمة عبر الدعاية وشن الحرب النفسية لممارسة الجذب وإقناع الآخرين وتقديم الإغراءات المالية والتدريب والثقافة بما يعزز من قدرات الدول في مجال توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة الأهداف الخارجية.

وهناك استخدام للهيمنة عبر القدرة على تطوير أسلحة إلكترونية متقدمة وتمارس الولايات المتحدة هيمنتها المعلوماتية على العالم من خلال احتكارها للموارد الحرجة للذكاء الصناعي أو من خلال سيطرتها التكنولوجية، سواء عبر الفضاء أو أقمار الاتصالات والتجسس، وهو ما أضاف لقوة الولايات المتحدة قوة أكبر على الهيمنة وممارستها عبر تأثيرها المباشر والعميق في شعوب العالم عبر دعم حرية الإنترنت وحقوق الإنسان. وأصبحت الهيكلية العالمية ترتبط بمعدلات توظيف الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد العالمي وتحريك الاستثمار والتجارة بين الدول وهو ما جعل من القوة الاقتصادية الجديدة تفوق في أهميتها القوة العسكرية على المسرح العالمي. وانتهاك سيادة الدول النامية وإلى إيجاد شكل جديد من التبعية التكنولوجية إما بسبب تقدم الدول الكبرى أو خضوعها لسيطرة الشركات المتعددة الجنسيات. وأصبح هناك فجوة رقمية بين الجنوب والشمال في مجال القدرات المعرفية والتكنولوجية^(٣٠).

(٣٠) خالد محمد غازي، الطوفان العولمة: فك الثوابت وتحطيم الهويات دار الهدى للنشر والتوزيع القاهرة طبعة أولى ٢٠٠٠م.

وحلت الهيمنة الإلكترونية محل الأشكال الأخرى التقليدية، وأصبح لها أبعاد مختلفة كدورها الثقافي بنقل القيم الغربية إلى العالم في مواجهة القيم المحلية. وفيما يتعلق بحجم التدفق الدولي للمعلومات، والتي إلى جانب تأثيرها الاقتصادي يوجد تأثير معنوي يتعلق بالقدرة على احتلال العقول وهو أخطر بكثير من احتلال الأرض، من خلال اختراق المجتمعات وتقوية روافد داخلية لها ارتباطات متحالفة أو متعاطفة مع قوى خارجية. وأتاح الذكاء الاصطناعي آليات جديدة للهيمنة وذلك عبر فرض الهيمنة الاقتصادية والثقافية والعسكرية والاجتماعية عبر القدرة على اختكار عمليات تدفق المعلومات والاستحواذ على القوة الإلكترونية الصلبة والناعمة في تمدد النفوذ الخارجي، وهو ما خلق نظاماً إعلامياً دولياً عالمياً يسيطر على عملية تنظيم تدفق البيانات عبر الحدود، والتحكم فيها وتحديد سياسة الدولة في المجالات الاقتصادي والثقافية.

وهو الأمر الذي جعل العالم الثالث يخضع لشكل جديد من التبعية عبر التأثير عليها من الخارج عبر تدفق المعلومات المنتجة من قوى خارجية إليها أو عبر استيرادها للتكنولوجيا وبما يجعلها تحت عملية تخطي الحدود المعلوماتي للحدود القومية، عبر ضح المنتجات الثقافية إلى داخل الدول بما يؤثر على القيم المحلية.

وعلى مستوى عملية إنتاج وتدفق المعلومات جاء الذكاء الاصطناعي ليحكم الهيمنة الغربية على العالم، وليضاف إلى السيطرة على مجال الإنتاج الإعلامي فلا تزال وكالات الأنباء الغربية الأربع الرئيسية وهي (رويترز) ووكالة الصحافة الفرنسية (AFP) والأسوشيتد برس (AP) واليونايتد برس إنترناشيونال (UPI)) تتحكم في توزيع ما يقرب من ٩٠% من الأخبار في العالم. وتسيطر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها على ما نسبته ٤٠% من الإنتاج التلفزيوني والسينمائي في السوق العالمية.

وتحتكر ثلاث أو أربع وكالات غربية إنتاج وتوزيع الأخبار التلفزيونية المصورة منها وكالة فيز نيوز ووكالة رويترز البريطانيان ووكالة يونايتد برس المصورة الأمريكية ووكالة الدي. بي. إيه (DPA) الألمانية. ويضاف إليها شبكة سي إن إن (CNN) والشبكة الكابلية الإخبارية Cable News Network والشبكة الأمريكية رولد نت (World Net) وتعد الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الأولى المصدرة للثورة التقنية الإلكترونية، إذ تتحكم بنسبة ٦٥% من مجمل الاتصالات الدولية.

رابعاً: الهيمنة الإلكترونية - الأمريكية على إدارة موارد الذكاء الاصطناعي

ترتكز السياسة الخارجية الأمريكية على أن الاستمرار في الهيمنة يتطلب السيطرة على المعدات الجديدة للسلطة والتي تتضمن التكنولوجيا، والمعلوماتية والاتصالات، وأجهزة الاستعلام وارتباط ذلك بالتفوق الاقتصادي في مجال "التجارة والمال"، وهو ما يظهر في الهوس بالحفاظ على القوة أو بمنع أو إعاقة تقدم أي دولة تنافسها في ظل محاولات أخرى من جانب دول صاعدة تحاول اللحاق بها بقوة كالصين وروسيا.

يتميز الذكاء الاصطناعي بوجود خواتمه الرئيسية في الولايات المتحدة وتديره أيضاً إلا أنه يتميز بالافتقار للسلطة العليا الحاكمة له تستطيع أن تنظم الأنشطة والتفاعلات أو وجود سلطة حاكمة تقوم بحفظ الطابع السلمي وفرض القانون، وترتبط فكرة الشبكة التي يتسم بها الذكاء الاصطناعي بحالة الاضطراب واتساع الأحداث وزيادة توافر المعلومات بما يعطى صورة شبه فوضوية لهذا التتابع.

وتتعلق نظرية الفوضى Chas theory والتي تنتج لحدوث عدد من التطورات المستقلة وقت متزامن يصعب الربط بينهم بالرغم من التأكد من وجود ربط ما وذلك نتيجة الكم الهائل من التفاعلات. أن الذكاء الاصطناعي أول اختراع بشري لا يفهمه البشر، وأكبر تجربة فوضوية في التاريخ. ولأن تداول أغلب البيانات على الإنترنت يتم عبر خوادم أمريكية وأيضاً لأن الإنترنت اختراع أمريكي وكان بالأساس أحد مشروعات وزارة الدفاع الأمريكية في عام ١٩٨٥^(٣١).

والتي تطورت فيما بعد لتصبح شبكة عالمية مدنية، ومستفيدة في ذلك بقدرتها الفائقة على إنتاج التكنولوجيا وحجم التحالف حول مصالحها في الحصول على المعلومات. الاختراق والتجسس والرقابة على الدول الأخرى - الضعيفة أو المستهلكة - من أجل المساعدة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية وفي إطار تحول الذكاء الاصطناعي كخدمة كونية تتمسك الولايات المتحدة بالسيطرة على إدارة شبكة الإنترنت ومعتبرة أن ذلك لا يعادي انتشار. الإنترنت أو حرية استخدامها من قبل أي جهة كانت وتعلن عن دعم جهود الأمم المتحدة لكي تصبح كل الشعوب على خريطة المعلوماتية، في مقابل الضغوط الدولية التي تطالب بجعل الإنترنت خاضعاً في إدارته للأمم المتحدة.

(٣١) افترضت وزاره الدفاع الأمريكية وقوع كارثة نووية ووضعت التصورات لما قد ينتج عن تأثير تلك الكارثة على الفعاليات المختلفة للجيش، وخاصة فعاليات مجال الاتصالات وكان تحت اسم وكالة مشروع الأبحاث المتقدمة Advanced Research Projects Agency Network (ARPANET) واستخدمت فقط في المجال الحربي.

بينما ترى الولايات المتحدة بأن سلطتها تأتي في إطار دور فني وتنظيمي فقط وإن مسألة احتكار الكود التقني المحدد لمسارات الإشارات الرقمية ترجع لكون الولايات المتحدة تاريخياً هي مخترعه، الإنترنت ومن ثم يصبح لها حق الملكية الفكرية، وأن منظمة الإيكان المختصة بإدارة أسماء ونطاقات الإنترنت جهة غير هادفة للربح ومفتوح عضوية مجلس إدارتها أمام الدول الأخرى.

وترى الدول النامية أن الإنترنت أصبحت مرفقاً عالمياً وليس خاصاً بالولايات المتحدة، وأنه من أهم الركائز الأساسية لإقامة مجتمع المعلومات على المستوى القطري أو الإقليمي أو العالمي، وأن منظمة الإيكان لا تخضع لأي اتفاقيات دولية تتعلق بسياسة إدارة الإنترنت، مما يعني أن تكون عرضة لقرارات تعسفية أحادية الجانب بدون أن يكون لأي دولة حق الرفض، وأن ترك الوضع على ما هو عليه سيضع في يد الولايات المتحدة أوراق ضغط إضافية على العالم، وإن مسألة إدارة المجتمع الدولي للإنترنت من شأنه أن يمنع عمليات التجسس الذي تمارسه الولايات المتحدة.

وانضمت دول الاتحاد الأوروبي إلى هذا التوجه بعد فضيحة التجسس الأمريكية على ملايين المستخدمين عبر العالم وعلى وجه الخصوص في الدول الأوروبية. وهو ما يمثل تهديدا للحريات المدنية وحقوق الإنسان.

وعلى الرغم من ذلك تحتكر الولايات المتحدة بطريق غير مباشر أسماء نطاقات الإنترنت ويمكن لها القيام بحذف الأسماء التي تتعلق بدول معينة. وذلك دون طلب تفويض من مجلس الأمن أو الاتحاد الدولي للاتصالات وذلك لإمكانية تحقيقه فنياً بالإضافة إلى دور منظمة الإيكان التي تعمل وفق قانون كاليفورنيا. وتتبع إشراف وزارة التجارة الأمريكية.

أما بالنسبة لتأثير الذكاء الاصطناعي في عدم تكافؤ عناصر القوة أو عدم انسجام المكانة فلم تعد الولايات المتحدة تتمتع بانسجام مكونات أو موارد القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، فعلى الرغم من أنها ما زالت تتربع على عرش القوة العسكرية لاحتكارها للأنواع الأكثر تقدماً من التكنولوجيا العسكرية، فإن مكانتها على صعيد القوة الاقتصادية والتقدم التكنولوجي أخذت تواجه منافسة أمام منافسين جدد مثل اليابان وألمانيا والصين وعدد من الدول الأوروبية^(٣٢).

(٣٢) محمد السيد سعيد "المتغيرات السياسية الدولية وأثرها على الوطن العربي" في: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩١)، ص ٥٥-٥٦.

وترى دول أخرى أن الولايات المتحدة واصلت تعزيز أدوات الذكاء الاصطناعي للتخريب السياسي ضد بلدان أخرى. وتزايد العلاقة الترابطية المباشرة بين الموجة الحضارية ونمط الصراع الجديد ففي حين اتجهت الدول التي تنتمي إلى العصر الصناعي إلى حيازة أسلحة الدمار الشامل تقوم الحرب الجديدة باستخدام الأسلحة الذكية.

خامساً: الذكاء الاصطناعي والهيمنة في الفضاء الخارجي

بدأ عصر الفضاء منذ إطلاق الاتحاد السوفيتي السابق أول أقماره الصناعية لاستكشاف الفضاء "سبوتنيك"، أول سفينة فضاء تدور حول الأرض عام ١٩٥٧. دخل الاتحاد السوفيتي بعد ذلك في سباق "فضائي" مع الولايات المتحدة، كان من ملامحه إطلاق المركبة الأمريكية "أبولو" عام ١٩٦٩ للهبوط على القمر. وتميز هذا السباق بالقدرات التكنولوجية الهائلة والميزانيات الضخمة المخصصة لتلك البرامج، والتي بلغت ذروتها بعد إطلاق الولايات المتحدة برنامج حرب النجوم الذي كان له دور في استنزاف الاتحاد السوفيتي السابق وانهياره.

وأصبح الفضاء الخارجي منذ ذلك الحين مجالاً للتنافس بين الدول للحصول على عناصر القوة الفضائية التي ارتكزت على نظرية عالم الفضاء الأمريكي جيمس أوبرج في كتابه "نظرية قوة الفضاء". تضع هذه النظرية نظاماً متماسكاً يعظم من القوة الفضائية، يتمثل في حاصل جمع القدرة التكنولوجية، والسكان، والاقتصاد، والصناعة، والقوة العسكرية، وإرادة الدولة وغيرها من العوامل التي تسهم في دعم إمكانيات الدولة على ممارسة الإكراه، أو الإقناع أو ممارسة التأثير السياسي على أعمال الدول الأخرى، أو على الحكام في العالم بغرض الوصول للأهداف الوطنية من خلال القدرات الفضائية^(٣٣).

ويعرف "كولن جراي" القوة الفضائية بأنها القدرة على استخدام الفضاء الخارجي القوة على منع استخدامه من قبل الأعداء، وهو مفهوم متعدد الأوجه مثل حالة استخدام مفهوم نظرية العلاقات الدولية، ويشير "بيتر ل. هايز"، للقوة الفضائية بأنها تعني امتلاك القدرات في مجال العمليات العسكرية به ومن خلاله واستخدام الفضاء الخارجي في الأغراض المدنية والسلمية.

(٣٣) عادل عبد الصادق، "الفضاء ساحة جديدة للتنافس الدولي"، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، يناير ٢٠١١

وحظي الاستخدام العسكري للأقمار الصناعية باهتمام كبير من جانب العديد من الدول بالنظر إلى دورها في الحروب وكشف ميادين القتال، ووضع القوات، والتجسس، وكشف الأماكن الاستراتيجية، وتأمين نظام الملاحة الجوية والإنذار المبكر حول التهديدات العسكرية المختلفة، وأصبح للأقمار الصناعية أهمية قصوى في الاستخدام السلمي في مجال التنمية التكنولوجية، ودعم النمو الاقتصادي، وفي مجال الاتصالات والبث الإذاعي والتليفزيوني والاستشعار عن بعد والأرصاد الجوية والملاحة، عبر نظام تحديد المواقع العالمي. وقد أصبح ذلك كله يعد ضمن أولويات الأمن القومي وأداة من أدوات السياسة الخارجية.

قامت الدول في سبيل ذلك ببناء مشروعات وطنية للفضاء الخارجي، أو بالتعاون مع الدول الأخرى الرائدة، كروسيا والولايات المتحدة للعمل على توفير عناصر الجاهزية الفضائية من المنشآت والمعدات والمعرفة الفنية لدى الكوادر البشرية والتمويل اللازم ويأتي مع انخفاض نصيب الولايات المتحدة في سوق الفضاء الدولي من ٧٣% في عام ١٩٩٥ إلى ٢٣% عام ٢٠٠٥، ولكنها لا تزال تمتلك الولايات المتحدة أكثر من نصف الأقمار الاصطناعية الموجودة في الفضاء.

ويري الباحث أنه على الرغم من كل تلك التحديات المرتبطة بالرغبة في السيطرة المعلوماتية من قبل الدول الكبرى إلا أنه نمت بيئة موازية مستفيدة من التطور في حركة الإعلام العالمي والمستند على الذكاء الاصطناعي في إحداث تحولات بشأن إنتاج وتدفق وحرية تداول المعلومات والمعرفة عالمياً، وبرزت محاولات لاختراق أنشطه الدول السرية، وأبرز مظاهر هذا التيار تكوين جماعات طوعية تعمل على كسر احتكار المعلومات وتدفقها للرأي العام العالمي من قبل نشطاء ليسوا مرتبطين بنمط من أنماط ملكية وسائل الإعلام أو مرتبطين بمصالح مع تلك القوى "المسيطرة"، وتتحرك فقط مستفيدة من التحول التاريخي في احتكار الدول لوسائل الإعلام وبروز دور فاعلين من غير الدول في جمع ونشر مصادر المعلومات عبر الذكاء الاصطناعي.

وبرز على مستوى الجماعات دور حركة "أنينموس" والتي تشن حملات ضد الدول الفاسدة عبر اختراق أنظمتها المعلوماتية وتسريب معلوماتها وعلى مستوى الأفراد كان "جوليان أسانج" مسرب وثائق ويكيليكس والذي لعب دوراً بارزاً في تحدي الدبلوماسية الأمريكية.

وانضم "إدوارد سنودن" الموظف في وكالة الأمن القومي الأمريكي لنادي المقاتلين من الحرية بالكشف عن وثائق تدين الولايات المتحدة بارتكاب عمليات تجسس ممنهجة ضد الدول والأفراد على نطاق واسع وغير مسبوق تاريخياً. وهو ما يهدد بعسكرة الإنترنت.

المطلب الرابع

الذكاء الاصطناعي وحالة التغير في النظم الإقليمية في النظام الدولي

أولاً: الإقليمية في مواجهة تغيرات البيئة الجديدة للذكاء الصناعي:

تتنافس الدول في مجال الاستحواذ على القدرات داخل المجال الإلكتروني من أجل أن "القطب الدولي"، أو أن تصبح الدولة الأهم في العلاقات الدولية، وساهمت عمليات تصبح التطور في مجال الذكاء الاصطناعي إلى تحول الأقاليم إلى إقليم قطب أو كبرى واعتماداً على الاقتصاد الرقمي أصبح بالإمكان تحويل الإقليم إلى مركز اهتمام عالمي، وتحول دولة ما داخل إقليم إلى "القطب الإقليمي"، من خلال تحقيق صفة الدولة الأهم في كل إقليم من أقاليم العالم.

وشهد مفهوم الإقليم كحيز جغرافي وكتكتل اقتصادي تحديات كبيرة في ظل مجال الذكاء الاصطناعي والذي على قدر ما عمل على تعزيز "الإقليمية" وروابطها فإنها أتاحت من جهة أخرى تحدي اندماجها العالمي. وذلك كون التوجه الإقليمي يعبر عن كونه وسيلة" من وسائل التعاون الدولي المنظم قوامه الوحدة الإقليمية لجماعة الدول الداخلة فيه"، في مقابل التوجه العالمي الذي قوامه وحدة المشكلة الإنسانية^(٣٤).

وأدى ذلك إلى تقوية بعض الأطر الإقليمية في مواجهة العالمية أو الهيمنة من قوى كبرى، وذلك عبر تكوين كتل اقتصادية كبرى إقليمية تحاول أن تضع قواعد للتكامل الإنتاجي والتكنولوجي والتمويلي والنقدي، وتميزت التكتلات الإقليمية بعد الحرب الباردة بطابعها الجغرافي، ولكنها لم تتميز بطابعها الجيوبوليتيكي؛ وذلك لتراجع البعد الأيدولوجي والعسكري وتساعد دور التكنولوجيا والاقتصاد كأساس لبنية التكتلات الإقليمية وهو الأمر الذي يؤدي إلى ضرورة تبني منظور جديد لصياغة مدلولات "الإقليمية" تحت واقع سيولة الحدود الدولية وشبكات التفاعل عبر القومية.

(٣٤) قاموس الموسوعة العربية.

وكانت عملية مد شبكات الاتصال والمعلومات عبر الدول جزء من ترسيخ البعد الدولي المتجاوز للحدود كحالة مد الكابلات البحرية عبر المياه الإقليمية للدول لخدمة الاتصال عالمياً؛ وهو ما يعمل على ربط الأقاليم ببعدها العالمي على نحو غير مسبوق، سواء من حيث السرعة أو الاتصال أو التفاعل وأثر الذكاء الاصطناعي على هياكل القوة وتوزيعها بين الدول والتي لم تعد المصدر الوحيد للسلطة، وبرزت مراكز جديدة للسلطة عابرة الحدود.

وبرزت حالتا التفكك أو الاندماج على المستوى العالمي، وتميزت حالة "التفتت" بأنها تعبر عن مجموعة من "مجالات السلطة" والتي لا تتقيد بالضرورة بالحدود الإقليمية لكل دولة وهو ما عمل على إعادة توزيع السلطة وليس إلى تدهورها. وتشكلت بذلك عناصر التغير العالمي عبر الذكاء الاصطناعي وفي توزيع مقدرات القوة، حيث تم إجبار الدول الكبر بدرجة أو بأخرى لتقاسم القوة والنفوذ والمنافع مع غيرها من الفاعلين من الدول الأخرى أو من الفاعلين غير الدول، وهو ما شكل متغيرات دولية رئيسية ذات تأثير على الإقليمية والدور الإقليمي للدول^(٣٥).

وساهم الذكاء الاصطناعي في التأثير في النظم الإقليمية؛ وذلك لما يتمتع به من خصائص عابرة للحدود وللإقليم والافتتاح ما بني الداخل والخارج، وتساعد أهمية التعاون الإقليمي لمواجهة تهديدات أمن الذكاء الاصطناعي والتي تتميز بطابعها العالمي مثل الهجمات الإلكترونية والجريمة الإلكترونية والتي أصبحت مصدر تهديد لنظم الأمن الإقليمية والتحالفات العسكرية.

وأدت عملية تصنيع وتوطين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى نمو أسواق إقليمية وصناعات مشتركة في ظل الاعتماد المتبادل بين الدول بالتعاون مع الشركات الكبرى. وتميزت البنية التحتية المعلوماتية ببعدها الدولي عبر تمدد الكابلات البحرية والتي تمر من خلالها خدمات الإنترنت والاتصالات عبر الحدود^(٣٦). ومثل الذكاء الاصطناعي بطابعه العابر للحدود تهديداً لفكرة الإقليمية سواء أكان رابطاً سياسياً أو ثقافياً أو عسكرياً. إلا أن هناك محاولات تمت في بعض الدول لجعل الذكاء الاصطناعي لديها منعزلاً عن العالم الخارجي، وقد تقدمت الصين في هذا المجال وكذلك إيران، وربما

(٣٥) برهان غليون على محافظة، (وآخرون) "المتغيرات الدولية والأدوار الإقليمية الجديدة، مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن، ٢٠٠٥، ص ٢٣-٤٥.

(٣٦) واستخدمت روسيا موقعها الاستراتيجي كممر لكابلات الإنترنت ذلك في حربها مع جورجيا في عام ٢٠٠٨ عندما قامت بقطع تلك الكابلات بما أضر الأخيرة اقتصادياً وعسكرياً.

يمثل ذلك موجة تقدم عكسي تتمثل في التحول من الطابع العالمي للذكاء الصناعي إلى الطابع المحلي أو الإقليمية نتيجة لحجم التهديدات التي تواجه الدول على المستوى الإقليمي والمحلي.

وأحدثت ظاهرة الذكاء الاصطناعي تحولات في "المؤسسات الاقتصادية الدولية" فبعد أن كانت تتسم بالتقليدية وتميل نحو الانغلاق وعدم المرونة الهيكلية، باتت تنجح نحو مزيد من الاعتماد المتبادل والتشابك نظراً للتدخل الشديد بين هذه الأطر المؤسسية من حيث العضوية ودون التركيز على المكون الجغرافي فقط في العضوية، على نحو يكرس من ظاهرة التشبيك في العلاقات الدولية Networking والاعتماد المتبادل Interdependency بين الأقاليم على المستويات الاقتصادية والأمنية.

وفرض الذكاء الاصطناعي تحديات أمام النظم الإقليمية تتعلق بالتكيف الداخلي مع البيئة العالمية الجديدة وتطوير النظم الإقليمية لتبني سياسات جديدة للتعامل مع الذكاء الاصطناعي، تأسيس منظمات إقليمية لحكومة الإنترنت كنسخ فرعية من المنتدى العالمي لحكومة الإنترنت. وفرض تحديث للأطر الأمنية للتحالفات العسكرية مثل حلف "الناتو".

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي ساعد في دفع الجهود الإقليمية للتعاون على الجانب الاقتصادي من خلال إقامة صناعات وخدمات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ومد الكابلات البحرية وعلى الجانب الأمني من خلال التعاون في مكافحة الهجمات الإلكترونية والجريمة الإلكترونية.

ومن أهم المتغيرات التي فرضها الذكاء الاصطناعي على النظم الإقليمية والمتمثلة في:

- (١) زيادة كثافة التفاعلات والاعتماد الاقتصادي المتبادل.
- (٢) تأثير الذكاء الاصطناعي على تنامي العلاقات الوظيفية بين أعضاء النظام الإقليمي.
- (٣) عمل الذكاء الاصطناعي على إعادة النظر في الأمن الإقليمي وأصبح الأمن يعتمد على البعد التعاوني المشترك وتوازن المصالح في ظل البعد العابر للحدود للمخاطر الإلكترونية.
- (٤) أدى الذكاء الاصطناعي إلى تطوير أدوات وآليات إقليمية للاعتماد المتبادل وتفعيل دور المنظمات الإقليمية لمواجهة التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي.

(٥) ساعد الذكاء الاصطناعي في دمج النظم الإقليمية في السياق العالمي في ظل السوق العالمي والبعد العابر للحدود للمخاطر ذات الطبيعة الإلكترونية.

ثانياً: الذكاء الاصطناعي وتساعد أهمية البعد العالمي للإقليم في العلاقات الدولية:

أثرت ظاهرة الذكاء الاصطناعي في أنماط التفاعلات عبر انتشار شبكات المعلومات وتكنولوجيا على النحو الذي أثر على تماسك الدول القومية عبر الكشف عن التنوعات العرقية والطائفية والتفاعل بين الثقافات والحضارات بما يؤدي إلى تشكيل ثقافة عالمية جديدة تعبر عن عملية التلاحق الفكري والتفاعل الإنساني في إطار وحدة الإنسانية والحضارة البشرية.

وفي الوقت نفسه ساعد القضاء الإلكتروني في تعزيز دور الثقافات المحلية في المجال العام الدولي وأتاح لها الفرصة في التعبير عن ذاتها وتفعيل دور الفاعلين في المجال الثقافي. وتتعرض الثقافات المحلية إلى عملية الهيمنة الثقافية من قبل القوى الغربية الأكثر امتلاكاً للتكنولوجيا والقدرة على تسويق ثقافتها عبر الآلة الإعلامية ومواقع الإنترنت والخدمات الثقافية وترتبط تلك العلاقة بعملية التفوق الغربي على مستوى الأبعاد الاقتصادية والعسكرية. وأدى الذكاء الاصطناعي إلى عملية التداخل ما بين البعد العالمي والإقليمي وعلى الرغم من ذلك فإن تعرض الإقليم لهجوم ثقافي في ظل هيمنة ثقافية غربية يمكن أن يجعل رده فعل معاكسة تتمثل في محاولة الدفاع عن القيم والعادات في مواجهة محاولات التتميط والحفاظ على الخصوصية في مواجهة العالمية.

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي فتح مجالاً عالمياً لا يميز ما بين النظم الإقليمية والعالمية بل يعبر عن أنماط جديدة من التفاعلات المتعددة المسارات والأطراف والتأثيرات بين النظم الإقليمية والنظام العالمي وزيادة مستويات الاعتماد المتبادل وعملية الاندماج بين الإقليم والعالم عبر شبكات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

وتساعد عدد من الأخطار ذات الطابع العالمي والعابر للحدود بما ساعد على إيجاد فرص للتعاون ما بين النظم الإقليمية والعالمية، وأصبح ما يجري على النطاق العالمي له تأثير على النظم

الإقليمية في ظل تصاعد أهمية دور الذكاء الاصطناعي في دعم الاعتماد المتبادل بين النظام العالمي والذي أصبح يتأثر بمكوناته الفرعية⁽³⁷⁾.

وأدى ظهور الاقتصاد الرقمي إلى تحول العالم إلى سوق تجارية مفتوحة وأصبحت النظم الاقتصادية الإقليمية تخضع للنظام الاقتصادي العالمي والذي يلعب به مؤسسات وشركات عالمية عابرة للحدود، وزيادة معدلات التبادل التجاري والمالي العالمي.

وأصبحت الشركات الدولية لديها العديد من المكاتب في دول العالم، وفق نمط التجميع العالمي في التصنيع، وفي نظام متحد ومندمج ورقابة مركزية من أعلى، وتعتمد العديد من الشركات العالمية على موظفين من الخارج في فروعها، وأدى الذكاء الاصطناعي والصناعات الإلكترونية والبرمجيات إلى تركيز الوظائف المركزية في الدول المتقدمة، وارتباط ذلك بتقسيم جديد للعمل الدولي عبر توزيع العملية الإنتاجية الصناعية بين أكثر من دولة بحيث يتم تصنيع مكونات أي منتج نهائي في أكثر من مكان واحد.

ويري الباحث أن الذكاء الاصطناعي يشكل تحدياً كبيراً لقدرة التجمعات الاقتصادية الإقليمية في السيطرة على التحويلات المالية مع تنامي نفوذ المؤسسات المالية الدولية وتمكن التعاملات الإلكترونية من تجاوز عنصر الزمان والمكان بوصف "بنجامين كوهين" للتغيرات الجديدة في النظام المالي بتميزه بين مجالات الأماكن ومجالات التدفقات وبأن صورتها التقليدية بالارتباط بالإقليم أصبحت غير مجدية.

وأصبح النظام المالي الجديد يرتبط بالشركات العابرة للحدود والانتقال من مجالات الأماكن إلى مجالات الشبكات حيث يؤدي تكوين الشبكات إلى العمل ضد المفاهيم التقليدية للمكان، وبذلك تم الفصل بين الطبيعة الإقليمية للسيادة والتدفقات المالية العالمية.

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي وإعادة هيكلة النظم الإقليمية

أتاح الذكاء الاصطناعي فرص تعزيز وجود نظم إقليمية مشاركة في الاقتصاد العالمي في ظل وجود نظم إقليمية مهيمنة وهي النظم التي تضم دول التحالف الرأسمالي الثلاث والذي يتكون من النظام الإقليمي لشمال أمريكا بقيادة الولايات المتحدة، والنظام الإقليمي للاتحاد الأوروبي بقيادة ألمانيا، ثم

(37) Joseph S. Nye, Jr, What New world order? "Foreign Affairs, Vol. 71, No. 2, (Spring (1992), pp. 83-96.

اليابان كطرف ثالث يسعى ليكون قيادة إقليمية آسيوية فعالة وتعزز دور النظم الإقليمية المنتمية لشرق ووسط أوروبا.

وتمكنت بعض النظم الإقليمية في العالم الثالث من إحراز تقدم مماثل، ليس فقط من حيث نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي أو معدلات النمو السنوي، وإنما أيضاً في معدلات نموها في الصناعة التحويلية والقدرات العلمية والتكنولوجية ونظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأوجد ذلك ارتباطاً وثيقاً بالسوق الرأسمالية الغربية.

وفي ظل زيادة الفجوة الرقمية بين الشمال والجنوب وفي تحول نظم إقليمية إلى التهميش والتي تكون عرضة للتداعيات السياسية والاقتصادية والأمنية وهو ما يؤثر على صراعها الداخلي والإقليمي والتبعية لقوى خارجية، ومن ثم فإن درجات التعاطي مع الذكاء الاصطناعي قد انعكست في أنماط تفاعل النظم الإقليمية مع النظام العالمي والتأثير فيه، وهو ما يظهر في قدرتها على المشاركة بفعالية سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

وأصبحت تتوقف مكانة أي إقليم بمدى مساهمة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات عالمياً. ويتوقف فرص تأثير دور الدولة في النظام الإقليمي بما توافر لديها من قدرات في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أو بالتعاون الدولي مع غيرها في نظامها الإقليمي أو العالمي.

ويؤدي ضعف الدول في الإقليم إلى تعرضها لتنفيذ أجندة القوى الكبرى في النظام العالمي. وزيادة الاعتماد والارتباط والتبعية للخارج في توفير النقص في تلك القدرات والتي أنت في نفس الوقت إلى بروز كتلت إقليمية جديدة لا تعتمد على الوحدة الجغرافية بل على التكامل التصنيعي والاقتصادي.

أدت عملية تبني تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى وجود تراجع في أهمية التحالفات ذات الطابع الجغرافي وظهور التحالفات ذات الطبيعة الاقتصادية مثل تجمع البريكس BRICS المكونة لأسماء الدول صاحبة أسرع نمو اقتصادي بالعالم. وهي تضم البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا.

الخاتمة

انتهينا من هذا البحث الذي جاء تحت عنوان "أثر الذكاء الاصطناعي في تغير هيكل النظام الدولي"، موضحين الذكاء الاصطناعي والتحول من النظام الدولي إلى المجتمع العالمي، الذكاء الاصطناعي والتأثير في بنية وعلاقات القوى داخل النظام الدولي، دور الهيمنة السيبرانية في العلاقات الدولية، الذكاء الاصطناعي وحالة التغير في النظم الإقليمية في النظام الدولي.

وانتهينا إلى العديد من النتائج والتوصيات نشير إلى أهمها على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

(١) سجل العلماء انتصارات كبيرة في مجال الذكاء الاصطناعي في السنوات الأخيرة، وجعلوا أجهزة الكمبيوتر تفكر وتتعلم بدرجة تفوق الذهن البشري، وقد ترسخ الذكاء الاصطناعي.

(٢) أضى الذكاء الاصطناعي مجموعة من العلوم، فليس علماً منفرداً قائماً بذاته، بل إنه أشد المعارف البشرية تعقيداً وتشابكاً.

(٣) يظل القانون الدولي الإنساني منطبقاً بصورة تامة على جميع منظومات الذكاء الاصطناعي، بما في ذلك عندما يتعلق الأمر بالتطوير والاستخدام المحتملين لمنظومات أسلحة فتاكة ذاتية التشغيل، فلا صحة لمزاعم اعتبار الأسلحة ذاتية التشغيل خارج إطار القانون، فاستجابتها لقواعد المسؤولية الدولية عن انتهاك القانون الدولي الإنساني.

(٤) إمكانية وضع تنظيم قانوني متكامل يحمي المضرورين من استخدامها والمهددين بتوجيهها وضدهم، كما يضمن مساءلة القادة الرؤساء الأمرين باستخدامها على نحو غير مشروع أو إطلاق أجيال منها خارجة على قانون الحرب، فلم يعد من الصعب تطبيق إطار مسؤولية الدولة ومسؤولية الفرد إذا قتل جهاز الي مدنيين أو أصابهم أو انتهك الحماية المكفولة بموجب القانون الدولي الإنساني.

ثانياً: التوصيات:

- (١) نوصي وضع مدونة أو مدونات سلوك وقواعد أخلاقية أو ممارسات تحدد التصرف المسئول فيما يتعلق باستخدام الذكاء الاصطناعي، وفقاً للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقواعد والممارسات القائمة.
- (٢) نوصي بعدم اهدار التكنولوجيا الصاعدة في مجال استخدامات الذكاء الاصطناعي ببذل المزيد من الجهود القانونية لتنظيم الاستخدام في إطار القانون بدلاً من الرفض الكامل لتلك التكنولوجيا والاستفادة منها لتعزيز الشفافية والمساءلة.
- (٣) الامتثال للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني مع تلافى العقوبات التي تعترض استخدام الذكاء الاصطناعي علي نحو فعال.
- (٤) درء الآثار المميتة أو الخطيرة التي قد تسببها آليات الذكاء الاصطناعي بعد تزايد تجريد استخدام القوة من الطابع البشري من خلال تكنولوجيات استخدام القوة ذاتية التشغيل واحتمال انتهاكه المعايير حقوق الإنسان ورفض الاستقلالية الكاملة للآليات ذاتية التشغيل والتحذير من طرح دور البشر بالكامل.
- (٥) دراسة الاستخدام الفعال لتكنولوجيات الذكاء الاصطناعي الناشئة في رصد حقوق الإنسان وحمايتها.

المراجع

المراجع العربية:

١. ألفين توفلر وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة: الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، تعريب صلاح عبد الله الدار الجماهيرية للنشر، سرت، ليبيا، ١٩٩٥.
٢. ألفين توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، تعريب ومراجعة فتحي عثمان، نبيل عثمان مصراته الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٢.
٣. برهان غليون على محافظة، (وآخرون) المتغيرات الدولية والأدوار الإقليمية الجديدة، مؤسسة عبد الحميد شومان، الأردن، ٢٠٠٥.
٤. خالد محمد غازي، الطوفان العولمة: فك الثوابت وتحطيم الهويات دار الهدى للنشر والتوزيع القاهرة طبعة أولى ٢٠٠٠م.
٥. خير الدين عبد اللطيف، بعض الأوجه السياسية والقانونية لثورة الاتصال الحديثة، مجلة السياسية الدولية، إبريل ١٩٩٤.
٦. رباحي أمينة، تأثير التحولات الاستراتيجية في النظام الدولي على التنظير في العلاقات الدولية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ٦، جامعه حسية بن بوعلی بالشلق، الجزائر، ٢٠١١.
٧. سعاد محمود أبو ليلة القوة المتوسطة: دور الدول المتوسطة التقليدية والصاعدة في النظام الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، دراسات مجلة السياسة الدولية، العدد، ١٨٩ يوليو ٢٠١٢.
٨. السيد ياسين، قراءة استشرافية لخريطة المجتمع الكوني الجديد، التقرير الاستراتيجي العربي، ١٩٩٣، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - الأهرام، ١٩٩٤).
٩. عادل عبد الصادق، الفضاء ساحة جديدة للتنافس الدولي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، يناير ٢٠١١.
١٠. عبد الله أحمد محمد البردي، أثر التحولات الدولية على أمن الخليج العربي (١٩٩٠ - ٢٠٠٣)، رسالة، ماجستير كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩.
١١. على السلمي، الإدارة الجديدة في ضوء المتغيرات البيئية والتكنولوجية، القاهرة، كتاب الأهرام الاقتصادي، عدد ٣٥ يناير ١٩٩٥.

١٢. كريم حجاج، حرب المعلومات وتطور المذهب العسكري الأمريكي، السياسية الدولية، السنة ٣٢، العدد ١٢٣ يناير ١٩٩٦.
١٣. محمد السيد سعيد المتغيرات السياسية الدولية وأثرها على الوطن العربي في: الوطن العربي والمتغيرات العالمية، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩١.
١٤. محمود علم الدين، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال: دراسة وصفية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٣.
١٥. مراد إبراهيم الدسوقي، حرب المعلومات: أثر التطور التكنولوجي على تداول المعلومات في الحرب المعلوماتية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، يناير، ١٩٩٦.
١٦. مروة محمود فكري: أثر التحولات العالمية على الدولة القومية خلال التسعينات دراسة نظرية، رسالة ماجستير جامعته القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٤.

المراجع العربية:

1. Alvin Toffler, The Third Wave, Bantam Books USA, United States, 1980,
http://en.wikipedia.org/wiki/The_Third_Wave_%28Toffler%29
2. China doesn't want cyberspace hegemony', Sutirtho Patranobis, Hindustan Times, Beijing, June15.2013
3. Cyber warfare subject to Western hegemony, Global Times 2013-3-25
<http://www.globaltimes.cn/content/770576.shtml#.Ugao-KxlfFw>
4. David A. Lake, Hierarchy in International Relations: Authority, Sovereignty, and the New Structure of World Politics, the annual meetings of the American Political Science Association, Chicago, IL, September 2-5, 2004,
5. David held, global transformation: politics, economics and culture, Cambridge, polity press, 2000.
6. Edward N. Luttwak, where are the Great Powers? At Home with Kidds, Foreign Affairs, Vol. 73, No. 4, July August 1994.
7. Eugene b. skolnik off, the elusive transformation: science, technology, and evolution of international politics, new jersey, prediction university press, 1993.
8. James R. Blaker, Transforming Military Force: The Legacy of Arthur Cebrowski and Network Centric Warfare. Westport, CT, Praeger Security International, 2007.
9. James R. Blaker, Transforming Military Force: The Legacy of Arthur Cebrowski and Network Centric Warfare. Westport, CT, Prager Security International, 2007.
10. Jeffrey C. Sobel, Digination: The Birth of Cyber-Nations. Maxwell AFB, AL, Air Command and Staff College, 2005.
11. Jemes n. rosenau, turbulence in world politics: a theory of change and continuity, Princeton, Princeton university press, 1990.

12. Jho, Whasun. and Kim, Jinhong. Power Politics in the Formation of Global Technology Standard Paper presented at the annual meeting of the International Studies Association Annual Conference Global Governance: Political Authority in Transition, Le Centre Sheraton Montreal Hotel, MONTREAL, QUEBEC, CANADA, Mar 16, 2011 .
13. Jodok Troy, towards a New Paradigm in International Relations, The Whitehead Journal of Diplomacy and International Relations Bringing Religion into International Relations., Jonathan Fox and Shmuel Sandler. New York: Palgrave Macmillan, 2006.
14. Joseph S. Nye, Jr, What New world order? Foreign Affairs, Vol. 71, No. 2, Spring 1992.
15. Richard J. Harknett and Craig T. Cobane Authors: Introducing Instructional Technology to International Relations, PS: Political Science and Politics, American Political Science Association, Vol. 30, No. 3 Sep., 1997, Stable URL:
<http://www.jstor.org/stable/420130>.
16. Robert Cox, global changes and theoretical challenges approaches to world politics for the 1990s, us: Lexington book., 1989, p 37-40.
17. Sutirtho Patranobis, China doesn't want cyberspace hegemony, Hindustan Times, Beijing, 15 June 2013.
<http://www.hindustantimes.com/world-news/China/China-doesn-t-want-cyberspace-hegemony/Article1-1076568.aspx>
18. System Perturbation: Conflict in the Age of Globalization, in War and Virtual War: The Challenges to Communities eds. Jones Irwin New York, NY: Rodopi, 2004.
http://www.allacademic.com/meta/p498836_index.html
19. Ted Galen Carpenter, The New World Disorder, Foreign Policy, No. A, Fall 1991.
20. Thomas Friedman, Longitudes and Latitudes: Exploring the World After September 11 New York, NY: Anchor Books, 2003.
21. 'William Dan Perdue, The New Totalitarianism: Cyber-hegemony and the Global System Paper presented at International Roundtable On the Challenges of Globalization Munich, 18-19 March 1999
<http://i-p-.org/perdue.htm>
22. William Pfaff, Reading World Order, Foreign Affairs, vol. 70, No 1, 1991. and: Barry Buzan, New Patterns of Global Security in the Twenty. First Century, International. Affairs, Vol. 67, No. 3, July 1991